وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف -المسيلة-

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: 13/MD12/284

قراءة في التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص النقد أدبي حديث

ميدان: لغة و أدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: نقد أدبي حديث

إعداد الطالب :
جودي حكيم

إشراف الأستاذ:
د. بوسعيد محمد

تاريخ المناقشة:

لجنة المناقشة:

- عماري عز الدين
- لعويجي

السنة الجامعية: 2015/2014

إهداء

أهدي عملي هذا إلى العزيزين حبّا وعرفانا

والديّ الكريمين، إلى منبع سروري ووجودي، والتي أحيا بها ومن أجلها، إلى التي سهرت على راحتي وضيّعت عمرها من أجلي إليك أمي الغالية.

إلى الذي أوصلني إلى هذا المكان وفتح لي أبواب الحبّ و الاحترام والنجاح إلى أبي العزيز.

أهدي إليك هذا العمل وأتمنى أن تكون فخورا بإبنك

إلى إخوتي " ناصر، ورابح، مبروك، وسليمان، ومحمد، الذين كانوا دائما إلى جانبي في الأوقات الصعبة.

إلى الثلة الرائعة، أصدقاء العمر: عبد القادر، عثمان، لطفي، وبالخصوص حمزة.

إلى زملائي وأصدقائي في الدراسة، و إلى كل الأقارب والأصدقاء.

كما أنوّه بجهود كل من مدّ لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد، إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي، وعملي المتواضع.

حـــكـــيـــم.

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: السيرة الذاتية والعلمية.

- حياته.
- عوامل تكوينه.
- جهوده.
- عبد الملك مرتاض و التنظير للنقد العربي.

الفصل الثاني : المناهج التقليدية عند عبد الملك مرتاض.

- المنهج الانطباعي.
- المنهج التاريخي.

الفصل الثالث : التركيب المنهجي في النقد عند عبد الملك مرتاض.

- مرتاض والحداثة.
- المنهج البنيوي الأسلوبي.
- المنهج السيميائي التفكيكي.

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع.

الفهرس المحتويات.

الملخص.

مـقـدمـة

مقدمة:

لقد أفرزت حركة النقد الجديد في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن الماضي مناهج نقدية حداثية جديدة، لكنها لم تأخذ مكانتها الحقيقية في الساحة النقدية بين الدارسين العرب، إلا في النصف الثاني من القرن الماضي من قبل مجموعة من النقاد العرب، الذين استطاعوا فهم وبلورة اتجاه نقدي أدبي عربي حديث له سماته وخصائصه وإجراءاته، أما عن الحركة النقدية في الجزائر فإنها تشهد في السنوات الأخيرة تطورا منقطع النظير، وعنّ ذلك الجهود الجبارة المبذولة من قبل ثلة من الباحثين والدارسين الغيورين على أدب أمتهم وإبداعاتها، ومن ثمة ألفينا هذا اللفيف يأخذ على عاتقه مسؤولية التنظير للنقد الأدبي عامة والنقد الجزائري خاصة، كما حاولنا جاهدا تشفيع ذلك بالجوانب التطبيقية على الإبداعات الأدبية والفكرية التي أبدعتها – على وجه الخصوص – أقلام جزائرية أسهمت في إثراء صرح الإبداع الإنساني عموما، والجزائري خصوصا، ومن بين هؤلاء الباحثين الأفذاذ الذي يبرز على قمة الهرم " **الدكتور عبد الملك مرتاض** " الذي أثرى الساحة الأدبية والنقدية بأعماله الكثيرة و القيمة، إذ تندرج جلّ ممارساته النقدية حول العمل الأدبي سواء أكان هذا العمل قديماً أم حديثاً أم معاصراً، شعرياً أم نثرياً، فصيحاً أم شعبياً، وهذا ما يؤكد نظرته الشاملة التي انصبت على النص الأدبي.

ويخرج متصفح هذا البحث بخلاصة أساسية مفادُها أن صاحبها كان – وما يزال – ناقداً منهاجياً بامتياز فقد اهتم بالمسألة المنهجية اهتماما كبيرا على امتداد أربعة عقود من

الزمن تقريباً. وبناء على ما سبق ارتأينا تناول تجربته النقدية في موضوعنا الموسوم " **قراءة في التجربة النقدية عند عبد الملك مرتاض**" و هي دراسة قد سبق إليها بعض الباحثين حيث تختلف عنها في الطرح والتحليل، ومن هذا المثيل صنيع الباحث " **يوسف وغليسي** " في رسالته المخطوطة " إشكاليات المنهج والمصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض "، و " **مولاي علي بوخاتم** " في كتابه " الدرس السيميائي المغاربي– دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح "، و " **المغربي فريد أمعضشو**" في أطروحته المخطوطة " المصطلح النقدي وقضاياه في كتابات عبد الملك مرتاض النقدية " إذ حاولت أن أعالج هذا الموضوع بالاعتماد على بعض المراجع في مجال النقد وأبرزها: كتاب **يوسف وغليسي** " الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض " الذي كان لي عونا في توضيح الرؤية المرتاضية، وكذلك اعتمدت على أغلب ما كتب "**عبد الملك مرتاض** " في مجال النقد وبذلك سعينا إلى الوقوف عند أبرز مدوناته النقدية والتي عنوانها: " **فن المقامات في الأدب العربي القديم، و " فنون النثر الأدبي في الجزائر** "...وغيرها.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة على الإشكاليات التالية:

- ما مفهوم عبد الملك مرتاض لنظرية النقد؟ ما موقفه من الحداثة؟
- هل ينتهج منهجا نقديا بعينه؟
- ماذا أضاف إلى النقد العربي بصفة عامة والنقد الجزائري بصفة خاصة؟

- و ما هي أبرز المناهج النقدية التي تأثر بها؟

وقد ارتأيت أن أتتبع في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي وذلك في تتبع كيف كان مرتاض يركب بين المناهج النقديه داخل النص الواحد.

أما بخصوص الخطة التي اتبعتها لدراسة موضوع البحث فإنها جاءت في: مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

حيث تطرقت في الفصل الأول: إلى تقديم السيرة الذاتية والعلمية للناقد وعوامل تكوينه كذلك جهوده في مجال النقد.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للمحطات المنهجية التي مر بها مرتاض في مسيرته النقدية، وهي المناهج التقليدية (المنهج الانطباعي والمنهج التاريخي)، فقد استهل " **عبد الملك مرتاض** " مشواره النقدي ناقدا انطباعيا في كتابه " القصة في الأدب العربي القديم " ثم اهتدي إلى المنهج التاريخي الذي تزامن مع انشغالاته الأكاديمية عبر كتابان وهما " فن المقامات في الأدب العربي " و"فنون النثر الأدبي في الجزائر".

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه التركيب المنهجي في النقد عند عبد الملك مرتاض والتي بدا فيها تحوله نحو مرحلة جديدة من المناهج النصانية الحديثة، فاستعمل المناهج المركبة، إما بنيوية أسلوبية في مؤلفات عدة نذكر منها: (القصة الجزائرية المعاصرة).

وإما سيميائية تفكيكية في تسعينات القرن الماضي عبر عدة كتب أهمها: (أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة).

ولعل أهم الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث، فلم تكن متعلقة بنقص المادة العلمية، وإنما بطبيعة الموضوع الذي كان يقتضي في كل مرة العودة إلى تلك المناهج، التي كان مرتاض يستقي منها مادته الإجرائية في أثناء التحليل وكذالك كثرة كتابات هذا الناقد في مختلف المجالات بحيث تُهت في بداية البحث بين مؤلفاته التي تترجم مشواره العلمي الذي يزيد عن أربعة عقود من الزمن.

أما الخاتمة فكانت تتويجا لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر والثناء إلى أستاذي المشرف، له مني عظيم الشكر والتقدير، لكل ما أبداه لأجلي من معلومات وصبر وتشجيع.

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على ما بذلوه من جهد وإخلاص في تصويب البحث وتقييمه على الرغم من انشغالاتهم وأعمالهم البيداغوجية المعتمدة.

الفصل الأول: السيرة الذاتية والعلمية

- حياته.
- عوامل تكوينه.
- جهوده.
- عبد الملك مرتاض و التنظير للنقد العربي.

1- حياته:

ولد عبد الملك مرتاض في 10 أكتوبر1935م ببلدة مسيردة (ولاية تلمسان الكائنة بالغرب الجزائري)، وسط ظروف سياسية واجتماعية وثقافية مميزة في تاريخ الجزائر الحديث وفيها نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم في كتّاب والده ، الذي كان فقيه القرية، مما يسر له فرصة الاطلاع على الكثير من الكتب التراثية القديمة. حيث قرأ المتون وألفية ابن مالك والأجرمية والشيخ الخليل والمرشد...، وكان إلى جانب ذلك يرعى الماعز والشياه.

بعد أن ألمّ بالعلوم الأولية التقليدية بقرية " مجبعة " يممّ شطر فرنسا سنة 1953م لأجل العمل بها، حيث انخرط في معامل " لاستوري" (المتخصصة في صهر معدن التوتياء) بالشمال الفرنسي، وبعد ستة أشهر هناك، عاد في سبتمبر 1954م إلى قرية " مسيردة " التي تركها جميلة وهادئة فألقاها كمقبرة حزينة !.

لم يلبث فيها إلا أياما قلائل، ثم شد الرحال إلى مدينة قسنطينة، قصد الالتحاق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس (الذي كان الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو مديرا له). حيث تتلمذ طيلة خمسة أشهر على أيدي: عبد الرحمن شيبان، وأحمد بن ذياب وعلي سياسي...

وحين أغلق المعهد لمضايقة السلطات الاستعمارية لطلاب هذا المعهد ، وضع عمامة على رأسه وارتدى سروالا جزائريا ، كي ينجو من شر الفرنسيين، ورجع إلى البيت.

وفي سنة 1955م سافر إلى مدينة " **فاس**" المغربية قصد متابعة دراسته في جامعة القرويين، ولكنه أصيب بمرض خطير (مرض السّل)، كاد يودي بحياته، فلم يدرس بها إلا أسبوعا واحدا.

وبعدها عيّن مدرسا للغة العربية في إحدى المدارس الابتدائية بمدينة " أخفير" المغربية حتى سنة 1960م، حيث نال شهادة البكالوريا للتعليم الأصلي من المغرب مترشحا حرا.

والتحق مباشرة بكلية الآداب بجامعة الرباط ، وسجل في كلية الحقوق ومعهد العلوم الاجتماعية بالجامعة نفسها ، ليلتحق عاما بعد ذلك بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط، مع الاحتفاظ بمتابعة الدراسة في كلية الآداب.

تخرج عام 1963م من المدرسة العليا للأساتذة بالرباط، ومن كلية الآداب أيضا وعيّن أستاذا للتعليم الثانوي بثانوية **مولاي يوسف** بالرباط، ولكنه اعتذر والتحق بالجزائر حيث عيّن مستشارا تربويا بمدينة وهران، وهي الوظيفة التي مكث بها زهاء شهرين، ثم

ما لبث أن غادرها، والتحق بعدها بالتعليم الثانوي، وبالضبط بثانوية ابن باديس بوهران، حيث ظل يعمل مدرسا للغة العربية و آدابها إلى غاية سبتمبر 1970م.

وخلال عمله في التعليم الثانوي كان يعد أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من الطور الثالث وأحرز عليها في الآداب من جامعة الجزائر في 07 مارس من سنة 1970م حول موضوع " **فن المقامات في الأدب العربي**" وهي أول درجة في مستواها تمنحها كلية الآداب في جامعة الجزائر على عهد الاستقلال.

بعدها التحق بكلية الآداب بجامعة وهران ، في سبتمبر من السنة نفسها ليعيّن في سنة 1971م رئيسا لدائرة اللغة العربية وآدابها ثم مديرا للمعهد في سنة 1974.

لم تتوقف نشاطات مرتاض الأدبية ، ولم تفتر خلال هذه الفترة ، رغم هذه المهام التي تعدلها حتى انتخب رئيسا لفرع اتحاد الكتاب الجزائريين بولاية الغرب الجزائري عام 1975م ثم عيّن عام 1980م نائبا (وكيلا) بجامعة وهران، رغم هذا الكم المعتبر من المناصب الإدارية والعلمية التي كانت طبيعية لعزيمته، واتساع أفقه وتنوع إسهاماته، وحضوره الدائب.

فقد واصل مرتاض طريقه مع البحث العلمي ليحرز سنة 1983م شهادة الدكتوراه الدولة في الآداب من جامعة **السربون** بباريس عن موضوع " **فنون النثر الأدبي بالجزائر**" بإشراف الأستاذ المشرف الفرنسي " **أندري ميكائيل**".

وفي سنة 1984م أنتخب أمينا وطنيا مكلفا بشؤون الكتّاب الجزائريين، ولم تمنعه هذه المهمة من أن يتخلف على تدريس جملة من المواد مثل: الأدب الجاهلي، والأدب العباسي والأدب المقارن، والمناهج، والأدب الشعبي، والأدب الجزائري...، وينهض بتدريس مادة " تحليل الخطاب" لطلبة الليسانس ومادة " السيميانيات" لطلاب الماجستير.

وفضلا عن هذا الجو المفعم بالنشاط، وارتياد كل المجالات على مستوى التدريس أو الإدارة والتسيير، يتمتع الأستاذ عبد المالك مرتاض بحركية ثقافية متميزة، قادته إلى المشاركة في عدد معتبر من المهرجانات والندوات والملتقيات الدولية، في السعودية والعراق، واليمن والمغرب، وليبيا، ويوغسلافيا (سابق) والاتحاد السوفيتي (سابقا)، وفرنسا وغيرها.

كما نشر في العراق في مجلة آفاق، ومجلة الأقلام التي تصدر في بغداد، والتراث الشعبي، والكاتب العربي وغيرها، ونشر في السعودية في المنهل و الفيصل، وعلامات، وفي مجلات أخرى كثيرة في تونس والكويت، ومصر، وسورية، وبيروت، وصنعاء،

والإمارات والبحرين، وغيرها من المجلات والدوريات المتخصصة التي تصدر في العالم العربي على اتساع رقعته وتنوع وتخصص هذه المجلات التي كان يكتب فيها في جميع التخصصات وفروع الأدب.

وعيّن كذلك مديرا للثقافة والإعلام بولاية وهران، وظل في هذا المنصب مع الاحتفاظ بمنصبه في الجامعة إلى سنة 1986م، وهي السنة نفسها التي عيّن فيها عضوا في الهيئة الاستشارية لمجلة التراث الشعبي ببغداد، ورقّي إلى درجة أستاذ كرسي (بروفيسور) في جامعة وهران، ثم عيّن رئيسا للمجلس العلمي بمعهد اللغة العربية وآدابها في الجامعة نفسها.

وإضافة إلى ما ذكرناه لا ننس إسهامه في مؤتمرات الأدباء العرب المنعقد بالجزائر (دورتان)، وفي عدن، وبغداد، وطرابلس، ومناقشته لزهاء خمسين رسالة وأطروحة جامعية إشرافا ومناقشة، ورئاسة، وذلك في جامعات الجزائر، وهران، تلمسان، قسنطينة، وباتنة وعنابة، وصنعاء.

وقد زار معظم البلدان العربية، وكثيرا من البلدان الأجنبية، وأسهم في الكثير من الندوات الأدبية والنقدية الدولية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة **رتجرس** وفي موسكو، ويوغسلافيا(سابقا)، وفي اليمن، والسعودية وسورية، والعراق، والمغرب، وليبيا

وفرنسا بجامعة **ستراسبورغ...**، كما نشر في معظم العواصم العربية. و إن من أهم صفاته بين طلبته تواضعه، إذ يعد مرجعا في الدراسات الأدبية والنقدية.[1]

عوامل تكوينه:

إن المطّلع على أعمال "عبد المالك مرتاض"، والمتتبّع لمساراته الكتابية، والاتجاه العام الذي اتجهه في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم التراثية والحضارية يكتشف أن هناك بواعث وعوامل تقف خلف تجربته الإبداعية والنقدية، وهي التي تتلخص في نشأته والظروف التي ترعرع فيها، ثم في المنطلقات والأسس الفكرية التي استمد منها أفكاره ومواد كتبه وأسلوبه ولغته وتلخيصا لذلك فإننا نصفها ضمن رافدين اثنين هما:

أ – رافد التراث:

ويشمل المحفوظات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والفقه والتفسير والمقاطعات الشعرية من الأدب العربي القديم، ثم الدراسة في النحو والصرف، وعلوم اللغة بصفة عامة، وضمن هذا الرافد كان للبيئة الدينية والاجتماعية التي ولد فيها " عبد المالك مرتاض" العامل الرئيسي في تشبعه بالثقافة العربية الإسلامية، حتى حفظ القرآن

[1] استيقت المعلومات السابقة من رسالة سلمت لـــ"علي خفيف" من قبل عبد الملك مرتاض في يوم 26 ديسمبر1993م

الكريم في سن مبكر، ثم ختمه وسنه دون الخامسة عشر من عمره، وأدرك الكثير من أحكامه وتوجهاته الإلهية، ويؤكد هذا العامل ما سجّله بقلمه ترجمة لسيرته، حين قال:" الحمد لله وحده أن حفظت القرآن وختمته إحدى عشر مرة، وما دمت والحمد لله وحده هذه مقادير صالحة من المقامات والرسائل والخطب والأحاديث الأعراب، فقصائد الفحول ومقطعات الأرجاز"[1].

– وعندما اشتد عوده قليلا، وبلغ سن الثمانية عشر من عمره، التحق بمعهد" عبد الحميد بن باديس" بقسنطينة ، ولكنه لم يمكث فيه إلا خمسة أشهر. ولظروف سياسية تزامنت مع وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وشد الرحال إلى المملكة المغربية (فاس) بغية متابعة دراسته بجامع القرويين.

خلال هذه الفترة، التي قضاها "**عبد المالك مرتاض**" بالمغرب، اشتغل في حقل التربية والتعليم، وكان لهذا العامل دور فعال في إفادته من الدروس وبعض المواد العصرية وغيرها من العلوم الحديثة، التي أخذها عن كبار الأساتذة هناك، منهم: المشارقة ونذكر" **حسن ظاظا**"، " **أمجد الطرابلسي**" و" **حسن إبراهيم حسن**"، بالإضافة إلى بعض الأساتذة المغاربة الذين تخرجوا من جامع القرويين، ممن اغتدوا أساتذة في جامع الرباط، أبرزهم: " محمد عزيز الحبائي" و"محمد نجيب البهيتي"، هذا الأخير الذي كان له الأثر

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص48.

البارز في نفسيته إلى جانب هذه العوامل، نشير إلى استعانته بالتعليم الثانوي بعد دعوته من المغرب، حيث حمله دافع التراث أن يختار موضوع أطروحته في بداية المشوار " **فن المقامات في الأدب العربي**" لنيل درجة الدكتوراه من طور ثالث، وهي الأطروحة التي أبدى من خلالها تأثره البالغ بالتراث العربي، بكل أصنافه وأشكاله[1].

كما تجدر الإشارة إلى وجود عامل آخر يتمثل في اطّلاعه على البلاغة العربية ونظرياتها، والنقد القديم ومفاهيمه، حيث أقبل على القراءات المتعددة في كتب ومواد " **الجاحظ** " مثل" البيان والتبيين" وفي كتب اللغة العربية استفاد من أفكار علماء مثل" ابن **جني**" في مؤلفه " الخصائص" **وأبو عباس المبرد** في كتابه " الكامل" ، ومقادير لا بأس بها من ألفية " **ابن مالك** " في النحو و الأجرومية، إذ يؤكد إفادته من الكتب البلاغية، أشار قائلا:" إن العرب هم على شيء عظيم... وأنهم كانوا يحومون حول كثير من النظريات والأفكار الكبرى للحداثة الغربية ولاسيما كتابات" **عبد القاهر الجرجاني**" و " **عبد العزيز الجرجاني**" و " **ابن جني**" و " **ابن قتيبة**" و "**ابن خلدون** ".

هكذا يستمر الحال، في تكوينه التراثي مطلعا على المسائل مثل: الشروحات، وكم هم كثيرون هؤلاء الشرّاح، من علماء اللغة، وفقهاء أصوليين وبلاغيين، الذين كان لهم معظم الأثر في تكوينه، ولعلّ أبرزهم:" **ابن سلام الجمحي**" في " طبقات فحول الشعراء "

[1] المصدر السابق نفسه، ص50.

و" **الآمدي**" في " الموازنة بين أبي تمام والبحتري"، و" **ابن قتيبة** " في " الشعر الشعراء " و" قدامة بن جعفر" في " نقد الشعر" ، و" **ابن رشيق القيرواني**" في " العمدة "، و " **ابن طباطبة** " في " عيار الشعر"، و" القرطاجني" في " مناهج البلغاء وسراج الأدباء"، فضلا عن إفادته من " القراءة الانتقائية " عند " **ابن جني**"، و" القراءة الإعرابية " عن " **أبي الدقاء عبد الله بن الحسين العكيري**"، و " القراءات الأدبية" عند " **سعد أبي سعد علي بن محمد الكاتب**"، وسواهم من العلماء[1].

ولابد من الإشارة أيضا، إلى أن انشغاله في التدريس عبر مراحل التعليم الثلاث بحيث كان له الدور الفعّال في وقفاته العلمية والأدبية والنقدية، التي سخّر لها نفسه، وابتغاها وسيلة مثلى في إحياء النفوس ويقظة الفكر، ونصرة العلم في الجزائر، وقد يسر له ذلك الاطلاع على خبايا اللغة العربية وآدابها ثم الإحاطة بقواعدها على مدار اثنين وأربعين عاما.

بيد أن" **عبد المالك مرتاض**" وكما كان ومازال طالب علم متعطشا إلى المزيد من مناهله، فقد اطلع على قراءات أخرى، وأبدى إعجابا منقطع النظير بكتاب" عرب معاصرين تتصل كتاباتهم بالتراث وإشراقاته "، حيث قرأ لكتّاب مثل: مصطفى صادق

1 مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،دط،2005، ص102.

الرافعي والمنفلوطي و البشيري، ومحمد البشير الإبراهيمي، وربما اضطرته الظروف كذلك إلى أن يحفظ أطرافا من كتاباتهم ومنقولاتهم.

وكذلك العامل النفسي، ورغبة "**عبد الملك مرتاض** " في إتقان اللغة العربية، لاسيما وأن عدد الجزائريين كان قليل، فيمن يتقنون قواعدها على خلاف إتقانهم للغة الفرنسية آنذاك ولذلك لم تكن له عقدة الازدواجية اللغوية [1].

وخلاصة القول في هذا الجانب، أن تمثل "عبد الملك مرتاض" للتراث هي ضرورة فرضها الواقع التاريخي والاجتماعي، وهي حضور جديد ونتاج مقولات على تراث سابق بحيث لم يكن هذا التراث ليترك بصماته في كتاباته لو لم يجد في شخصيته أبعاده المفهومية.

ب – رافد الحداثة :

وهو الرافد الذي عرف من خلاله الباحث الحداثة الغربية وأعلامها، سواء عن طريق القراءة في كتبهم اللسانية، أو الاحتكاك ببعضهم والبحث في أسس وأصول منطلقاتهم الفكرية، لاسيما الفرنسيين منهم، ففي هذا الجانب من مكوناته الأولية ذهب إلى القول:" إن قصتي مع المكونات الغربية ابتدأت بمنهجية ووعي، منذ عشرين عاما بالتحديد، أي منذ تعرفت شخصيا على أستاذي " أندري ميكائيل" المستشرق الفرنسي

[1] المصدر السابق نفسه، ص112.

المعروف، والذي تعلمت من جلساته القصار" الكوليج" " دي فرانس" كثيرا من العلم، وكثيرا من التأصيل المنهجي خصوصا، وقد جعلتني هذه السيرة أعيد النظر في ترتيب أوراقي.

ويذكر الباحث، أنه في سنة 1976م وفي قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بهذا "الكوليج" في فرنسا دعاه مشرفه "ميكائيل" إلى الاحتكاك بأساتذة فرنسيين آخرين، والاطلاع على عطائهم الفكري، وعلى كل ما يملأ أسواق الغرب من علوم اشتركت فيها عبر الأزمنة حضارات أخرى، مؤكدا بالقول: " كانت الكتب التي اقترح علي أن أقرأها لـــ: **رولان بارط ولقربماس، و تودوروف، وجان كوهين، و موريس بلانشو، و كلود ليفي، و جيرار جنيت** ... "[1] وبالفعل يسر له هذا العامل حضور محاضرات الجامعات والمعاهد الفرنسية، وتتبع خطوات العلم هناك، علاوة على بدائع الفن والأدب فما كتبه أو قاله هؤلاء المنظرون الليسانيون والفرنسيون بوجه خاص.

وهناك في فرنسا، ابتدأت مرحلة جديدة عند "عبد المالك مرتاض"، حيث بدأ القراءة من خلالها في الحداثة الفرنسية وأعلامها من دون استثناء بعد أن لم يكن يقرأ للكتّاب الفرنسيين التقليديين في الإبداع والنقد، مثل (**بيف وتين و لانسون** و وأحفادهم من الأساتذة..).

[1]– عبد المجيد حنون : اللانسونية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث، ص52.

أما بخصوص هذه القراءات النقدية، قال الباحث:" هذه القراءات في الأدب الفرنسي الجديد لم تكن تزيدني إلا اقتناعا بأن العرب هم على شيء عظيم. وأقصد بالعرب هنا الأجداد أحسن الله إليهم، لا أحفاد، وأنهم كانوا يحومون حول كثير من النظريات والأفكار الكبرى للحداثة الغربية"[1].

وهو بذلك، أراد أن يقتنع ويقنع غيره بهذه المسألة، ذلك أن أعلام الحداثة الفرنسية في كثير من الأطوار، وفي تقريرهم للمسائل وتأسيسهم للنظريات والثقافة اليونانية التي يستمدون منها، ربما يكونون عاشوا فيها على الثقافة العربية وحرج، أبرزهم: **تودوروف و بارط.**

إضافة إلى هذه العوامل السابقة يذكر الباحث عاملا آخر، هو الخصوصية الثقافية التي تتمتع بها الجزائر في البحر الأبيض المتوسط قائلا: " ولكن الموقع الجغرافي للجزائر قريبا من أوروبا والظروف التاريخية (ظلول الجزائر تحت وطأة الاستعمار قرنا واثنين وثلاثين سنة)، والتي أبت إلى أن صهر فيها، ربما من حيث لا أريد أو لا أشعر، هي إذن الثقافة الفرنسية بكل معطياتها الحضارية التي تغافلت في ذهنية الشعب الجزائري ودفعته في كثير من الأطوار إلى أن يتخذ من الفرنسيين مثله الأعلى في الحياة " [2].

[1] المصدر نفسه، ص74.

[2] مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،دط، 2005، ص113.

وبهذا نكون قد أفصحنا عن بعض عوامل تكوينية وتباين تمايز شخصيته الأدبية والنقدية عن شخصيات أخرى في مصادر ثقافاتهم بشكل عام مهتدين إلى أن " عبد المالك مرتاض" أنه أفلح في تشكيل التراث وجعله قاعدة ارتكاز تعكس أفكاره وأفانين أسلوبه، فهو لم يكن منقطعا عن الأحداث في عصره، يتفاعل معها باتصال دائم ويعطيها أهمية قصوى، في وقت عجت فيه النظريات اللسانية .

3- جهوده:

إن أعمال الأستاذ " **عبد الملك مرتاض** " ليست كثيرة فقط، إذ تتجاوز الثلاثين، موزعة بصورة مبهرة على عدد من الاختصاصات والفنون، والمشارب الأدبية المختلفة منها بحوث في الأدب والنقد وهناك إبداعات في القصة والرواية ، دون أن ننسى اكثر من مائة مقال أو منشورة في مختلف الجرائد والمجلات والدوريات الثقافية والمتخصصة منها والأجنبية.

- **الروايات والمجموعات القصصية :**

كتب في هذا المجال ستة أعمال إبداعية وهي:

– " نار و نور" صدرت عن دار الهلال بالقاهرة سنة 1975م والخنازير نشرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1985م .

– صوت الكهف نشرتها دار الحداثة ببيروت سنة 1986م وقد حظيت هذه الأخيرة بالإهتمام نقدي محترم .

– "دماء ودموع " نشرتها جريدة الجمهورية الصادرة بوهران مسلسلة خلال سنة 1979م/1978م في زهاء مائة حلقة.

– "حيزية" التي نشرتها هي الأخرى مسلسلة في جريدة الشعب بالجزائر سنة 1977م .

- **الكتب:**

وهي سبعة كتب تتجه بصفة خاصة، إلى الاقتراب من النقد السيميائي التفكيكي والملاحظ أن مسار الأستاذ عبد الملك مرتاض يتجه كثيرا في الآونة الأخيرة إلى ترسيخ توجه جديد في تدريسه الجامعي، وفي أبحاثه الأكاديمية يعني بالبحث السيميائي وتحليل الخطاب الأدبي وتفكيكه ...ولذلك نجد في الجعبة مايلي:

– "تحليل الخطاب السردي :تحليل لرواية زقاق المدق " تحت النشر لدى ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية .

- تحليل الخطاب الشعري: تحليل سيميائي لنص شناشيل إبنة الجبلي .

- أوليات الأدب الجزائري(دراسة في الجذور).

- شعرية القصيدة قصيدة القراءة : تحليل سيميائي مركب لقصيدة أشجان يمانية.

- المقالة الياقوتية للسيوطي: تحليل سيميائي لنص المقامة.

- مساءلات عن الكتابة: سعي إلى تأسيس نظرية للكتابة الأدبية.

- **المقالات و الدراسات المنشورة في الدوريات الثقافية والمختصة.**

ليس سهلا أن نحصر في صفحة أو صفحتين إسهامات الأستاذ "عبد الملك مرتاض" في الدوريات الثقافية والمتخصصة، فهي فضلا عن كمها الهائل الذي يناهز المائة مقال تتوزع على عدد كبير من الدوريات والمجلات الجزائرية والعربية وتتشعب إلى عدد أكبر من الموضوعات ومجالات البحث والتأليف.

وهكذا فمن خلال الإحصاء الكلى لما نشره مرتاض في الدوريات سنجد أن اتصاله الأول، أو على الأصح الأنضج.

من سنة 1965 مع الأسبوعية "المجاهد الأسبوعي " التي نشر على صفحاتها موضوع "رسالة الأدب " لينهمر سيل الكتابات بعدها، ويتوزع لم عدد كبير من الدوريات

والمجلات الجزائرية خلال الستينات والسبعينات، ومنها الأصالة، والثقافة، والجيش، وأمال وغيرها من المنابر الثقافية التي حظيت آنذاك باحترام كبير و إقبال منقطع النظير. ابتداء من عام 1976م وطوال عشرية الثمانينات وأدب الأستاذ **عبد الملك مرتاض** على توسيع مقروئيته من خلال نشر في جرائد عربية مرموقة كانت أولها وأكثرها حظاً مجلة"**التراث الشعبي**" .

التي تصدر ببغداد ، والتي نشر فيها عام 1980 حول العلاقات الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية في الأمثال الشعبية الجزائرية هذا الأخير تراجع سنة 1991م إلى الإنجليزية بجامعة "**رتجرس نيو جرزى** " بالولايات المتحدة الأمريكية .

إن مجالات كتاباته ودراساته فقد شملت موضوعات الأدب، والأدب، والنقد والتراث والأمثال الشعبية ، والصحافة ،والإذاعة التلفزيونية والسينما والمسرح والتحليل السيميائي وموضوعات ثقافية أخرى متنوعة وكثيرة ... .

وفيما يلي إحصاء شامل لكل ما نشره في الدوريات والمجلات المتخصصة دون أن نذكر أعماله المنشورة في الصحف السيارة،والتي بلغت زهاء خمسين دراسة أساسية في

الشعب والمساء، والسلام (الجزائر)، والجمهورية (وهران)، والنصر (قسنطينة)، والثورة (صنعاء)، وغيرها ... .

- **المجاهد الثقافي : الجزائر.**

- النقد والنقاد ،ع 14،15. 1971م.

- المقومات العامة للأدب العربي الحديث في الجزائر ع 77. 1971م.

- **الأصالة، الجزائر:**

- الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر(نشرت في حلقتين)أكتوبر - نوفمبر 1971م .

- أصالة الشخصية الجزائرية .ماي 1972م.

- خطوات في طريق التعريب .جوان 1973م.

- الأمراض والعاهات في العامية الجزائرية، أفريل 1973 م.

- شعر المولديات في تلمسان 1975 م.

- **الثقافة. الجزائر:**

- المسيرة التاريخية للتعريب في الجزائر ع 1971.4م.

- التعريب والثورة الثقافية. ع21، 1974 م.

- دور الشعر الملحون في التعبير عن الحياة العامة(في الجزائر) نوفمبر 1974م.

- **الجيش. الجزائر:**

- القضايا الأدبية ومعضلاتها في الجزائر(ثلاث حلقات) ربيع سنة1971م .

- نحو مفهوم جديد للأدب 1971م.

- مع الشيخ الإبراهيمي(نشرت الدراسة في خمس حلقات) 1982م.

- **المجاهد الأسبوعي. الجزائر:**

- رسالة الأدب 1965 م.

- ليس في الجزائر إلا شاعران، صيف سنة1967م .

- صرخة العروبة 1967 م.

- **أمـــــــــــــــــال.الجزائر:**

- نساء للبيع (مسرحية في ثلاث فصول) سبتمبر 1969م.

- الضائعون (قصة قصيرة) ع 1970.7م.

- زواج بلا طلاق(مسرحية في ثلاث فصول) 1970م.

- الخصائص الشكلية للشعر الجزائر ي الحديث 1982م.

- **البحوث: كلية الآداب. جامعة وهران .**

- المحسنات البديعية والشعر العباسي .ع 1–1974م.

- مارس في الأمثال الشعبية الجزائرية .ع 2–1974م.

- **الثقافة والثورة(** وزارة التعليم العالي**)** الجزائر:

- مدخل في دراسة التفاعل الثقافي في الجزائر، ع2،1971 م.

- **الأدب الشفوي. مركز البحوث الأنتربولوجية ،الجزائر:**

- الألغاز الشعبية الجزائرية 1979م.

- **التراث الشعبي، بغداد:**

- أسماء الأطعمة و الأشربة في العامية الجزائرية،1976م.

- منهج البحث في الحكاية الخرافية، 1977م.

- **الأقلام. بغداد:**

- الصحافة الجزائرية في كتابات العرب ع 1986م

- التراث الأدبي أحمد رضا حوحو .1988 م

- **الكاتب العربي. (دمشق. بغداد):**

- الشخصية في القصة الجزائرية المعاصرة ع1974.8م (دمشق).

- الحدث في ألف ليلة وليلة ع 12 1972 م.

- في نظرية النقد الأدبي خريف سنة 197م.

- **المنهل، السعودية :**

- الحيز في القصة الجزائرية المعاصرة ع474 1972 م.

- الزواج من السعال في المعتقدات الشعبية العربية ع 453 . 1978 م.

- **الفيصل، الرياض:**

- صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية. 1977 م

- ماهية الأسطورة ووظيفتها .ع102. 1979م

- **الموقف الأدبي، دمشق:**

- في نظرية النص الأدبي ع1977.2.1 م

- **الثقافة، دمشق :**

- نشأة الصحافة العربية في الجزائر ع1989.2م

- **الحياة الثقافية، تونس:**

- سلوك الشخصيات في رواية" اللاز" .ع1974.32

- مظاهر إعتقادية في الميثولوجية العربية ع1982.12

- **مقابلات صحفية وأدبية:**

يبدو أن العلاقة المتينة التي نسجها الأستاذ "**عبد الملك مرتاض** "على مدى عقود من الزمن مع المجلات والدوريات العربية، قد انعكست إيجابا على إنتاجه، وبالدرجة نفسها من خلال الاهتمام الملفت للانتباه الذي أولته ولا زالت توليه هذه الدوريات خاصة وسائل الإعلام الأخرى عامة للأستاذ "**عبد الملك مرتاض** " وأطروحاته وأفكاره، وإقترابات في مختلف القضايا الفكرية والثقافية المطروحة على الساحة الوطنية والعربية وحتى العالمية.

وأكبر دليل على هذا الاهتمام هو عدد المقابلات الصحفية والأدبية التي حظي بها الأستاذ والتي تنوعت بين المجلات والصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون، وأتاحت له هامشا معتبرا للتواصل مع قرائه وعرض تجربته .والتعبير عن أفكاره وأماله، وآلامه وطموحاته، ومن المجلات التي اهتمت به :الأقلام والطليعة، وألف باء ، والمربد وكلها تصدر ببغداد. ثم التضامن (لندن)، وكل العرب(باريس)، والجيل(قبرص)، والصياد والأسبوع العربي بيروت، ثم الفيصل، والجيل (الرياض).

أما الصحف فنجد: الجمهورية(بغداد)، والشرق الأوسط (دولية)، هذه الأخيرة حاورته لمرتين سنة 1976م، وسنة 1979 م.

واليوم (المدينة المنورة)، الجمهورية (اليمن)، الميثاق (المغرب)، والرأي العام، وهي جريدة بالفرنسية (الرباط)، وأنوال الرباط كذلك ثم أغلب الصحف الجزائرية كالشعب والمساء، والجمهورية اليومية والأسبوعية والأضواء والعناب وغيرها... .

ومن شبكات التلفزيون التي استضافته، التلفزة الجزائرية، واليمنية، والعراقية، والسورية والمغربية، واليوغسلافية، والليبية، وأخيرا محطة الشرق الأوسط اللندنية .

كما استضافته إذاعات الجزائر، والمغرب، واليمن، والعراق، والمملكة العربية السعودية وليبيا.

وخلاصة القول: أن إسهامات " **الدكتور عبد الملك مرتاض** " تنوعت و توزعت على مختلف الاختصاصات والمجالات، ونلاحظ حركيته، وحيويته الدانية التي لم تترك له مجالا للهدوء والدعة.

4 – عبد الملك مرتاض والتنظير للنقد العربي:

يعد" **الدكتور عبد المالك مرتاض**" من بين النقّاد الأفذاذ الذي يبرز على قمة الهرم الذي أثرى الساحة الأدبية والنقدية بأعماله الكثيرة والقيمة، ويمكن أن نبتدئ بعرض المقولة التالية لعبد المالك مرتاض: " والنقد في مدلوله العالي إبداع فني ثاني، وأي نقد لا يرقى إلى هذه المكانة فهو مجرد لغوي، ومحض باطل وفضول"[2].

حيث أنه ينطلق من إبداعية النقد، كونه عملا فنيا لا يأتي إلا بريشة فنان، ماهر صناع، خبر الصنعة وألف الإبداع. هو لا يتوافق مع من يقول:" إن النقد هو التعليق على

[2]–عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002 ص56.

الأعمال الأدبية وعرضها عن طريق الكلمة المكتوبة" إنه يختلف حتى مع " **إليوت**" الذي يرى أن للنقد هدفان ويحدد له مسؤولية فيقول: "... أما النقد من ناحية أخرى فلابد من أن يتخذ لنفسه هدفا ويبدو هذا الهدف على وجه العموم هو توضيح الأعمال الفنية، وتصحيح الهدف منها"[1]. إنه يعارض هذه الفكرة المتمثلة في التوجيه والتقويم اللّذين يضطلع بهما النقد تجاه الأدب، والتي ينادي بها " **مصايف**" أيضا إلى جانب **إليوت**.

كما يرى أن وظيفة النقد هي " الهدم" مثلما كان يذهب إلى ذلك " السيد قطب" مقتديا بكتب النقد النارية التي جاءت لتنسف من حيث تريد أن تعدد البناء على مذهب " الديوان" للعقّاد والمازني، وكتاب " على السفود" للرافعي، وكتاب" في الشعر الجاهلي" لطه حسين وكتاب " رسائل النقد" لرمزي مفتاح وغيرهم.

إن النقد عن " مرتاض" مجرد مظهر آخر من مظاهر الإبداع الأدبي الخالص الأدبية فهو لا يخضع لقواعد صارمة، صرامة العلم والقانون، وهو هنا أقرب ما يكون إلى رأي "محمد مندور" الذي يرى – وهو متأثر في ذلك بآراء لانسون– بأن:" النقد لا

[1] يوسف وغليسي: الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض ،صدارات رابطة ابداع لثقافية، الجزائر2002، ص102.

يمكن أن يصبح علما، ومن ثم لا يجوز استعمال نظريات العلم ومناهجه لتفسير الشعر والنثر" [1].

إننا هنا لا نتغيا مقارنة آراء مرتاض بغيرها من الآراء، بقدر ما نريد عرضها في سياق يموضعها انطلاقا مما هو كائن في الساحة من آراء وأفكار، ومواقف نقدية.

إن النقد والأدب عند مرتاض وجهان لعملة واحدة، فهما متكاملان، فليس شرطا أن يجاوز النقد الأدب في كل الحالات، ولكنه يماشيه في أحيان كثيرة، " فلا يستطيع النقد الحق إلا أن يكون مكملا للإبداع الحق، أي مجرد وجه من وجوهه يماشيه طورا، ويجاوزه طورا آخر، ولكن يظل دائرة في فلكه أبدا"[2].

فالنقد عند عبد الملك مرتاض ينطلق من ثنائية الخيال والعقل، لهذا فليس علما خالصا، كما حاول أن يفعل ذلك الشكلانيون، حينما باؤوا بالفشل الذريع وهم يعلمنون النقد ويحاولون أن يخضعوه لقواعد صارمة وإجراءات علمية محددة، فألغوا البعد الذاتي في النقد كلية.

---

[1] محمد مندور : في الأدب والنقد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، دط، 1944،ص89.

[2] المصدر نفسه، ص102.

كما أن النقد ليس فلسفة خالصة ولا فنّا خالصا، بل حتى ولا إبداعا خالصا، كما يزعم أصحاب المدرسة النقدية الجديدة، وإنما هو كما يقول مرتاض نفسه" نقد خالص فقط" يستمد جوهريته من مجموعة من الجواهر الأخرى، بعضها ما ذكرناه أنفا.. فهو شيء "هجين" إذن.

إن النقد ليس قاضيا صارما يصدر أحكامه بالإعدام طورا وبالمؤبد طورا آخر على الإبداع، بقدر ما هو قراءة، مجرد قراءة تصنعها رؤية، ويفرضها منظور، في ظرف ما، وفي زمن ما، يفرض تغيرهما على هذه القراءة أن تحدد أسسها وتطور عدتها وتواكب الإبداع والأحوال[1].

إننا لا يمكننا أن ننساق كلية مع مرتاض في طرح، لأن للنقد مسؤولية تجاه القارئ و الإبداع والمبدع جميعا. ولا تكون هذه المسؤولية أكثر من أن ينير لكل هؤلاء الطريق، فهو يدل القارئ على الإبداع القمين بالقراءة، والجدير بالاهتمام، وهو يوجه المبدع إلى الثغرات التي يمكن أن تغفو عنها عيناه، ويهفو عنها قلمه، ومن ثم يوجه الإبداع إلى الارتقاء، والتطور والجدة، والحداثة.

فالناقد حينها ينضني قلمه، إنما يفعل ذلك ليضيف شيئا ايجابيا جديدا، ولا تكون إيجابيته إلا إذا كان نافعا موجها ومقوما، ومبدعا وخلاّقا أيضا، كما لا يمكننا أن نهمل

[1] عبد الملك مرتاض: القصة في الادب العربي القديم، دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968، ص35.

التطور الكبير الذي حدث في موقف مرتاض تجاه قضايا النقد، فقد كان في يوم ما من أيامه الخاليات، يرى بأن النقد قاض صارم يجب أن يجسد العدالة المطلقة دون أن يخضع إلى معايير ذوقية، انطباعية، تأثرية[1].

ولا يسعنا هنا إلا أن نعود به إلى ما يناهز ثلاثة عقود من الزمن، إلى الوراء لنقف على رأيه في النقد حينما كان يرد على الأستاذ" **حسين مؤنس**"، وقد قال بأن مقامات الهمذاني لم تعجبه، وأنها مجموعة كثيرة الأسجاع، فيقول:" ثم إن الإعجاب شيء، والحق وقول الحكم، شيء ثان، فالناقد بمثابة قاض يتبين الحق ما أمكنه الأمر في حكمه على الآثار، يصرف النظر عن إعجابه بذلك الأثر أو عدم إعجابه، فإذا كنت قاضيا وتخاصمت إليك امرأتان، إحداهما أعجبتك ولم تكن محقة، والأخرى لم تعجبك وكانت محقة، فما أنت فاعل يا سيدي؟ فالسلام على العدالة والحق إذا وضعناهما فيمن يعجبنا وحدهم"[2].

ونجد كلاما مشابها في الرد على الدكتور "**شوقي ضيف**" في الكتاب نفسه حينما قال بأن مقامات الهمذاني تعليمية وليست أكثر من ذلك.

مما لا شك فيه أن هذا رأي تقليدي جدا كان يعتنقه مرتاض في بداية حياته النقدية حيث يعتبر الناقد قاضيا صرفا.

[1] مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2005، ص96.
[2] المصدر السابق نفسه، ص75.

ويمكننا أن نعلق نحن هنا قائلين: إذا كان النقد لا يستطيع أن يخلق للناس شخصيات لا يعرفونها فأين هي إبداعية النقد التي ينادي بها مرتاض اليوم؟ لاشك أن هناك تطورا في الموقف النقدي فرض عليه التخلي عن بعض الآراء القديمة، وليس ذلك عيبا طالما أنه يرى مواقفه السابقة تقليدية ويجب أن تتجدد، وتتغذى بالحداثة، ليحل محلها النقد الجديد الذي يقول عنه:" إذا كانت الرؤية التقليدية والرؤية الجديدة غير المتجددة أيضا، كانت ترى كما هو معروف بأنه على الناقد حصر النتائج، وإصدار الأحكام الجمالية حول النص الأدبي المدروس، فإن النقد الجديد يرفض هذا المسعى، و يشرئب إلى أن يعود النقد مجرد نشاط ذهني يساق حول نص آخر، دون أن يسعى بالضرورة إلى اتخاذ رداء القاضي المتحكم القادر على تعرية ما بالداخل، ويرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن النقد في الثقافة الغربية قبل القرن التاسع عشر كان متوجها إلى الأدباء ولم يكن يعنى بنقد الآثار الأدبية والإبداعية وكان أيضا يلتبس بمفهوم نظرية الأدب ولذلك فإن الثقافة الغربية لم تعرف النقد بمفهومه المعاصر إلا في القرن التاسع عشر[1].

[1]عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص78.

الفصل الثاني : عبد الملك مرتاض و المناهج التقليدية

- المنهج الإنطباعي.
- المنهج التاريخي.

1 – المنهج الانطباعي:

لقد أدى انتشار الانطباعية في أواخر القرن التاسع عشر إلى علو مكانة النقد الانطباعي مقابل تراجع موجات التأييد للنقد الموضوعي، فبذلك أثبت النقد الانطباعي جدارته بالإسهام في الكشف عن المتعة الذاتية من وراء قراءته وإدراك التذوق الجمالي، وهذا دون الاعتماد على معايير وقوانين تقيد من حرية الناقد.

إذ يسعى من خلاله الناقد أن ينقل إلى القارئ ما يشعر به تجاه النص الأدبي، تبعا لتأثره الآني والمباشر بذلك النص دون تدخل عقلي أو منطقي صارم، وسيلته الأساسية في هذا المسعى هي الذوق الفردي الذي يعكس تأثر الذات الناقدة بالموضوع الإبداعي، إذ يتخذ الناقد من النص الأدبي، مناسبة للحديث عن ذاته، وأفكاره الخاصة وما يتداعى في ذهنه من مشاعر وذكريات متحكما في نقل انطباعاته حول النص على الذوق أساسا[1].

ومن بين النقاد الذين اهتموا بالمناهج النقدية الحديثة وتأثروا بها نجد " **عبد الملك مرتاض** " ويظهر جليا في كتاباته المختلفة والمتنوعة، فقد جرب العديد من المناهج في دراساته فاستهل تجربته النقدية منذ الستينات ناقدا انطباعيا[2]، مثله مثل كل النقاد

[1] أحمد صقر: تاريخ النقد ونظرياته ، مركز إسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2001، ص25.

[2] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة الإبداع، الجزائر، د ط ، 2002، ص33.

الجزائريين في تلك الفترة، فكان كتابه " **القصة في الأدب العربي القديم** " يعد مثالا على مرحلة نقدية كاملة عاشها مرتاض .

يعد هذا الكتاب من المؤلفات الأولى لمرتاض، لذلك فإن القارئ المتأمل يكشف بنفسه من خلال بعض الملاحظات والهفوات التي وقع فيها قلم الكاتب، حتى إن الكاتب نفسه يقر بذلك ويشير إليه في كتابه، إذ أن هذه الملاحظات تتصل بالمنهجية طورا، وبطريقة معالجة الموضوع طورا آخر[1].

ويمكننا في البداية أن ننطلق من بعض الملاحظات الشكلية التي تسجل على أقسام الكتاب قبل أن ننتقل إلى المناقشة الجزئية.

إذ نلاحظ أول ما نلاحظ خلو الكتاب من الخاتمة، وهو عيب منهجي فاضح أن يشمل كتاب على فاتحة طويلة تستغرق إحدى عشر صفحة، وتمهيد طويل أيضا يستغرق خمسة عشر صفحة، ثم يشتمل على ثلاثة أبواب كاملة، ويخلو أخيرا من خاتمة وهي خلاصة ما توصل إليه المؤلف في بحثه و زبدة مجهوده، حيث لا يقبل عمل أكاديمي ولا بحث جاد بدونها أبدا [2].

---

[1] ينظر: يوسف وغليسي ، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، المكتبة الوطنية الجزائرية، إصدارات رابطة ابداع الثقافية، الجزائر، 2002ص45

[2] عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم، دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع

ومن الملاحظات الشكلية أيضا التي يمكن ملاحظتها بالعين المجردة، احتواء الكتاب على فهرسين اثنين، فهرس للمواضيع التي عالجها المؤلف والآخر عام كالذي ألفنا وجوده في الكتاب بصفة عامة.

كما نلاحظ على الكتاب تذبذب كبير في تقسيم الأبواب إلى فصول ولنضرب مثلا على ذلك بما جاء في الفصل الأول بعنوان **القصة الشعرية** ودرس أثناءه :

* قصة امرئ القيس * وقصة عمرو بن أبي ربيعة.

ثم جعل الفصل الثاني بعنوان **القصة الرومانتيكية** وعرض فيها :

* جميل بثينة * وقيس ليلى وقيس لبنى.

والملاحظ أن القصة في كلا الفصلين شعرية، إلاّ أن الذي يقرأ عنوان الفصل الأول يجده " القصة الشعرية " يخيل إليه مباشرة أن عنوان الفصل الثاني " القصة النثرية "– مثلا – فإذا به يجده " القصة الرومنتيكية ".

أما بنسبة لطريقة إثبات المؤلف للمراجع التي استفاد منها في مؤلفه، إذ عرضها تحت عنوان " بعض المراجع التي اعتمدها المؤلف "، مما يجعل القارئ يتسأل أين بعضها

والنشر، الجزائر، ط1، 1968ص5.

الآخر والأجدر أن يذكر الأديب والدارس المراجع التي استعان بها كلها ولا يهمل بعضها [1].

هذه بعض الملاحظات الشكلية التي رأينا أنه لا يمكن تجاهلها، أما حين الغوص في الكتاب والبحث في ثناياه فإننا نجد صاحبه يذكر في مقدمته عن قيمة الكتاب، وما بذله من جهد ووقت، وعن المعايير التي قسمه وفقها إلى أبواب وفصول، وعن منهجه في تأليفه للكتاب، وهو منهج قائم على الانطباع والرغبة في أشفاء الغليل والانتقام من المستشرق " **رينان** " الذي كان يزعم في كتاباته الفيلولوجية أن العربية خالية من كل خير فارغة من كل مزية...[2]

أما الآن فننطلق إلى جوهر الموضوع و لب الدراسة، إذ نجد أن مرتاض من خلال كتابه " **القصة في الأدب العربي القديم** " قد درس القصة العاطفية، والاجتماعية، والفكاهية و الفلسفية في الأدب العربي القديم في ثلاثة أبواب:

الباب الأول : القصة العاطفية.

- الفصل الأول : القصة الشعرية.
- الفصل الثاني : القصة الرومنتيكية.

[1] عبد الملك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، ص9.

[2] عبد الملك مرتاض: القصة في الأدب العربي القديم ، ص9.

الباب الثاني : ألوان من القصص .

- الفصل الأول : أحاديث الجاحظ .
- الفصل الثاني : أحاديث بن دريد .
- الفصل الثالث : القصة الفكاهية .
- الفصل الرابع :القصة الاجتماعية .

الباب الثالث : القصة الفلسفية

- الفصل الأول: رسالة الغفران لأبي العلاء المعري .
- الفصل الثاني: قصة حي بن يقضان لإبن طفيل.

إن غياب المنهجية الدقيقة جعل الكتاب أشبه بمجموعة الأفكار الانطباعية متفرقة ولا يربطها سلك ولا خيط ، تحضى الاستطرادات فيها بحصة الأسد، إلى أن المؤلف نفسه عابها على نفسه بقسوة في مثل قوله: " وستلاحظ علي في قساوة أنني أستطرد كثيرا أو قليلا حيث لا ينبغي الاستطراد، وستلاحظ إلى ذلك أنني ربما أهملت أشياءا كان ينبغي أن تثبت، وأغفلت مواضع كان ينبغي أن تذكر كإغفال الحديث عن " ألف ليلة وليلة "..."[1]

ويمكننا القول أن أطغى شيء على الكتاب هو الاستطراد، الذي جعل المؤلف كثيرا ما ينسى نفسه ويدخل موضوعا آخر يخوض فيه ذات اليمن وذات الشمال دون ضابط ولا

[1] عبد الملك مرتاض : القصة في الأدب العربي القديم، ص10.

قيد، فنجده مثلا وهو يتحدث عن جدة موضوعه يذكر الذين تعرضوا إلى القصة في الوطن العربي فيذكر " **محمود تيمور**" لينتقل مباشرة إلى نقد كتابه " دراسات في القصة والمسرح" ثم ينتقل إلى **ذكر**" **يوسف نجم** "، ومن المؤكد أنه لم يكن يخطر له على بال حتى يجد نفسه وجها لوجه في مواجهة مع كتابيه " فن القصة " و " القصة في الأدب العربي الحديث " ليمضي في نقدهما بعيدا على موضوع بحثه كما هو واضح من عنوانيهما.

إلا أن المؤلف لا ينتبه لاستطراده الذي يذهب فيه بعيدا في نقد ما كتب "**يوسف نجم**" لا يهمل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، رادا الاعتبار للأدب المغاربي ضد المشرقي تارة ورافضا لهذا العنوان تارة أخرى[1].

إن عبد الملك مرتاض بهذا السلوك المنهجي يكون أقرب إلى الكتاب أمثال " **الجاحظ**" و" **ابن قتيبة** "، و" **المبرد** " في استطرادهم وتداخل مواضيعهم، وعليه فإن السمة الغالبة على مرتاض في هذا التمهيد تبقى أيضا هي الاستطراد.

إذ كثيرا ما يبرهن على وجود القصة عند العرب قديما، فيذهب بعيدا في الحديث عن دور الأدب وماهيته، وفي الحديث عن فلسفة المشاكل الاجتماعية، حتى أنك لا تخال

[1] أنظر د. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة لنشر والتوزيع ،ص45.

نفسك أمام ابن خلدون في مقدمته، حيث أن " **عبد الملك مرتاض** " ينتبه لنفسه أحيانا فيقول " وقد كدت أمضي إلى غير إياب... "

أما إذا جئنا إلى مضمون دراسته فإننا نلاحظ ابتداء الفصل الأول أنها خارج الموضوع، وأن الكاتب وقع في تسلل منذ بداية الباب الأول الذي يتعرض فيه إلى القصة العاطفية، فلم يدرس أو يحلل شيئا، مما جعله يتعرض في الفصل الأول إلى قصيدتي امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة إذ يقوم بالخطوات التالية :

– يكتب القصيدة ثم يتلوها بشرح مسهب جدا على طريقة " أنثر الأبيات ".

– فيعيد ما قاله الشاعر نثرًا دون أن يضيف شيئا يذكر.

و زيادة على هذه الملاحظات السابقة، فإن الكاتب مليء بمزاعم السبق كما تعرض إلى دراسة موضوع كالقصة مثلا وغيرها، ولا شك أن حماس الشباب هو الذي جعل المؤلف يزعم تلك المزاعم.

ومن بين الأحكام انطباعية التي أصدرها الناقد في كتابه " **القصة في الأدب العربي القديم**" ما يلي:

– **قصة قيس لبنى:** يعتبر عبد الملك مرتاض أن " الشعر ابن ذريح يفيض حبًا ، ويتفجر تهيامًا، وينبجس لوعةً، وصبابةً، وندمًا حنينًا. كأن أبياته بل كأن ألفاظه كتبت

بمداد الحزن واللهفة والنجيب"[1] و" يلاحظ في هذا الشعر قوة لا توجد في شعر جميل، ولا في شعر قيس ليلى، فحروف أبياته كأنها دموع غزار تتساقط ، أو كأنها سهام تمضي فتصيب كل من صادفت منه جانبا، فهو يصطنع جميع ما يمكن أن يوجد في العربية من ألفاظ الحزن والحسرة واللهفة والحرمان...

– **قصة جميل بثينة:** يرى – مرتاض – في بائية جميل بثينة أنه: " ومن عجيب الأمر أني لم أر قصيدة تؤاخي هذه بحرا ورويا، إلا وهي خطيرة القيمة " و" أيّ قصيدة أشد تعبيرا عن حالة الحزن من هذه التي رويت لك؟ بل أي شعر يمكن أن يكون أحزن من هذا في لغة الضاد وفي كل لغة ؟ إنك لتقرأه و تشعر بالدموع تنفجر هتانة من كل لفظ ، وتساقط غزيرة من كل بيت "[2].

ونلخص في الأخير أن أهم ما يلاحظ على كتاب " **القصة في الأدب العربي القديم** " غياب المنهج الواضح وضبابيته إن وجد أحيانا، وغلبة الكم على حساب الكيف والنوع، ثم إهماله لمواضع هامة كانت أقرب إلى القصة مثل " ألف ليلة وليلة ".

إلا أن الكتاب يبقى حكما على مرتاض وعلى مستوى نضجه المنهجي في فترة من فترات عطائه الأولى، حيث إن الانطباعية طاغية على الكتاب في إصدار الأحكام والمواقف، دون مبرر أو مصوغ أنقصت كثيرا من قيمة البحث إلى جانب التجميع

[1] المصدر نفسه ، ص134.

[2] المصدر السابق، ص100.

والتكديس الذين أصبح مرتاض نفسه يمقتهما فيما بعد في قوله: " إن التجميع والتكديس منهج تعليمي تراثي عقيم ، وهو إن حمد في مرحلة من التعليم فلن يكون إلا مذموما، بل مرفوضا في مرحلة أخرى منه، وأقصد بالمرحلة الأخيرة الجامعية بطوريها الداني والعالي " .

هذا على الرغم من أن كتاب القصة في الأدب العربي القديم كتبه مرتاض بعد أن قضى وطره من مرحلة الجامعية، وبعد أن قضى شوطا في تحضير رسالة جامعية عليا حين كان يحضر رسالة دكتوراه من الدرجة الثالثة في أدب المقامات.

ورغم كل هذه الملاحظات فيكفيه فخرا أنه تجرأ وكتب كتاب ونشره في فترة زمنية كان فيها وضع الكتابة بالعربية في الجزائر ضعيفا جدا، إضافة إلى أن الكاتب كان غضا، ومع ذلك كان له الشجاعة العلمية الكافية للرد على أحد كبار المستشرقين ومن الجزائر وفي أواخر الستينات.

ويرى الناقد– **يوسف وغليسي** – من خلال تتبعه لمسار عبد الملك مرتاض النقدي أنه " ومع الخروج من القصة في الأدب العربي القديم بدأت تخبو جذور هذه الروح الانطباعية المشتعلة شيئا فشيئا ، حيث لا نلمس لها إلا بعض الأثار القليلة الموزعة عبر

كتابه " نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر"[1] وما يمكن قوله في هذه التجربة الانطباعية عند الناقد أنها لم تستغرق منه حيزا نقديا ولازمنا واسعا لأنه اهتدى إلى المنهج التاريخي الذي يتناسب مع اهتماماته النقدية وانشغالاته الأكاديمية .

[1] يوسف وغليسي : الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، المكتبة الوطنية الجزائرية، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2002ص37

2 – النهج التاريخي :

المنهج التاريخي منهج يركز على العلاقة المتينة بين العمل الأدبي والزمن الذي يولد فيه، والبيئة التي يتشكل فيها فضلا عن العرق الذي ينتمي إليه مبدع هذا العمل الأدبي .

يعرف – **وليد قصاب** – المنهج التاريخي في النقد الأدبي بأنه " النهج الذي يتخذ من الحوادث التاريخ السياسي و الاجتماعي وسيلة لفهم الأدب ودرسه وتحليل ظواهره المختلفة[1].

أما – **أحمد رحماني** – فإنه يقول: " تمتد جذور المنهج التاريخي إلى **ابن سلام الجمحي** الذي طبق قواعد هذا المنهج بمهارات فائقة، مكنته من اكتشاف نظرية الانتحال وأسبابها الاجتماعية والتاريخية والسياسية والعقدية والدينية، كما نبه قدماء النقاد العرب على البيئة والسيرة والزمان وغير ذلك من عناصر المنهج النقدي التاريخي " [2].

أما – **صلاح فضل** – فيرى أن المنهج التاريخي هو أول المناهج النقدية في العصر الحديث، وذلك لأنه يرتبط بالتطور الأساسي للفكر الإنساني، وانتقاله من مرحلة العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وهذا التطور الذي يمثل على التحديد في بروز الوعي التاريخي، وهذا الوعي هو الذي يمثل السمة الأساسية الفارقة بين العصر الحديث والعصور القديمة.[3]

---

[1] وليد قصاب : مناهج النقد الأدبي الحديث، دار المعرفة ، الجزائر، ص23.

[2] أحمد رحماني: نظريات نقدية وتطبيقها، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1 ، ص 108

[3] صلاح فضل: في النقد الأدبي ص16.

وأنه منهج يتخذ من الحوادث التاريخية والاجتماعية والسياسية وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخصائصه مركزا على تحقيق النصوص وتوثيقها باستحضار البيئة الكاتب وحياته محاولا بذلك تفسير نشأة الأثر الأدبي بربطه بزمانه ومكانه وشخصياته.

أما عن النقد التاريخي في الجزائر فقد" ظهر وازدهر خلال الستينات وأوائل السبعينات، على أيدي النقاد الأكاديميين الأوائل (سعد الله، خرفي، الركيبي، ناصر مرتاض،...) تحت تأثير رموز النقد التاريخي في المشرق العربي (عمر الدسوقي، سهير القلماوي، شكري فيصل،...) الذين كانوا مؤطرين لرسائل نقدنا، وكان طبيعيا أن يوجهوهم وجهة تاريخية[1].

أما النقد التاريخي عند – مرتاض – هو الذي يرمي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية، والمؤلفات، وشخصيات الكتاب، لأنه في رأيه يعني بالفهم والتفهيم أكثر من العناية بالحكم والمفاضلة.

وعلى الرغم من أن **عبد الملك مرتاض** لم يضف بعدا جديدا في نظرته هذه إلى المنهج التاريخي، فقد سبقه إلى هذا التصور نقاد كثيرون منهم: " **محمد مندور** " الذي يرى بأن المنهج التاريخي لا يجب أن يكتفي بدراسة المؤلف الأدبي الذي أمامه، بل لا بد أن يحيط بكل ما ألف الكاتب درسا وتحليلا ليكون حكمه صحيحا شاملا [2].

[1] النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ، ص34.

[2] محمد مندور : في الأدب والنقد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص11.

ومن خلال هذه الدراسات سنتعرض إلى التجربة الأدبية " **لعبد الملك مرتاض** " الذي يعد أحد النقاد الجزائريين الذين كان لهم في عالم النقد والمعرفة دور كبير، وذلك من خلال كتبه.

إذ قدم تجربة لا يستهان بها مع النقد التاريخي عبر كتب كثيرة، إذ تعد قمة المنهج التاريخي و أبرزها:

- فن المقامات في الأدب العربي.

- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 - 1954.

يشتركان هذان الكتابان بحكم إطارهما المنهجي الموّحد، في أنهما لا يكتفيان بدراسة قلة من نصوص، وإنما تتجاوز ذلك إلى دراسة المتون الأدبية العريضة التي تمتد على فترة تاريخية مطولة لا تقل عن عشرين سنة من جهة، كما أن الفاصلة التاريخية بين زمن تلك المتون وزمن دراستها لا تقل - في أحسن الأحوال - عن خمسة عشر سنة، من جهة أخرى. وهي إحدى سنن النقد التاريخي الذي يأبى دراسة النصوص المتزامنة مع الناقد، ولا يقوى على ذلك ما لم تدخل تلك النصوص متحف (تاريخ الأدب) [1]

تناول " **عبد الملك المرتاض** " دراسة التطبيقية ضخمة والموسومة بـــ :" **فن المقامات في الأدب العربي**"، إذ يعد الكتاب الأول الذي خضع فيه إلى سلطان المنهجية العلمية، وبدأ بالتخلص من الانطباعية وطغيان الكم على حساب النوع .

[1] المرجع نفسه، ص38.

حيث أن " **فن المقامات في الأدب العربي** " عبارة عن رسالة جامعية أعدها صاحبها لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، ولذلك فإن ما طرح فيها يختلف تماما من الناحية المنهجية عما طرح في كتابه " **القصة في الأدب العربي القديم** " على الرغم من أن الكاتب تناول موضوع المقامات في كليهما، إلا أن الفرق شاسع بينهما في طريقة التناول وفي المنهجية المعتمدة، وحتى في الأفكار والمفاهيم حيث بدا أكثر شموليا ونضجا في فهمه للمنهج التاريخي، إذ لم يقتصر على سرد الأحداث، والمراحل التي مربها فن المقامات في تطوره عبر مختلف عصوره وعهوده، بل اعتمد إلى تحليل المضمون للنصوص مبرزا عبقريته، ومواطن جمالها وروعتها مفضلا بعض أصحابها، ومقدما إياهم على بعض الآخر على أساس مقاييس علمية محددة المعالم والمعايير ، ونظرا إلى أن مهمتنا هي مناقشة الجانب المنهجي في الكتاب فقط، فإننا سوف لن نطيل كثيرا في مناقشة أفكاره، وذلك لوجود الكثير من المطاعن والنقائص إلى درجة إن " عبد الملك مرتاض " نفسه يعُد ما كَتب، أنها مفاهيم عامة ليس فيها عمق ولا تركيز، حيث اعتبر دراسته " **فن المقامات في الأدب العربي** " عامة وسطحية جدا[1] وأنها مقرونة بكتاب فنون النثر الأدبي في الجزائر، وفي هذا الصدد يقول: " أنني سوف لن أتناول كتاب فن

[1] عبد الملك مرتاض ، مقامات السيوطي دراسة مركبة .مخطوط ، مقدمة.

المقامات في الأدب العربي بدراسة مستقلة بل سأتناوله مقرونا مع كتاب فنون النثر الأدبي في الجزائر[1]" و لعل هذا راجع لسببين إثنين وهما :

أولا : لأن كليهما رسالة جامعية ، تقدم بالأولى لنيل شهادة الدكتوراه من الحلقة الثالثة من جامعة الجزائر، ويجدر بالذكر أنها أول شهادة دكتوراه تمنحها جامعة الجزائر لطالب في العلوم الإنسانية وقد كانت سنة 1973.

وتقدم بالثانية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة " **السربون** " وكان ذلك سنة 1978 .

ثانيا : لأن المؤلف اتبع في كلا الرسالتين المنهج التاريخي البحت، الذي يتتبع من خلاله لمختلف المراحل التي صاحبت تطور الظاهرة الأدبية عبر مختلف عهودها و أعصارها، وأن البحث في أول أصول المقامات في الأدب العربي القديم[2] .

وحتى لا يطول بي المقام كثيرا ويتحول بيّ الأمر إلى عرض للكتاب لأنني أقصر كلامي عل تعليق على موضوع " القصة " فقط من ضمن موضوعات الكتاب حتى يتسنى منهج المؤلف في دراستها ومقارنة بم كتب من كتاب " فن المقامات في الأدب العربي " ولعل أول شيء يؤشر على نضج النظرة المنهجية لدى الكاتب عند تناوله هذا الموضوع هو تعليقه على منهج الدكتور" **الركيبي** " عند تناوله لموضوع القصة القصيرة في كتابه " القصة في الأدب الجزائري الحديث " حيث سجل عليه عدة ملاحظات منهجية هامة منها ما يلي :

[1] عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي ، ص18.

[2] المرجع نفسه ، ص21.

1 – أن الركيبي لم يحدد زمنا معينا يتقيد به ، بل ترك الدراسة مفتوحة ، والزمن مطلق وهو ما ينفي الدقة العلمية.

2 – دراسة الركيبي غير دقيقة لأنها تتناول القصة القصيرة باللغتين العربية والفرنسية.

3 – منهج الركيبي تطوري في مجال الموضوعات فقط ، وبغض النظر على صحة هذه الملاحظات المنهجية أو عدم صحتها، فهي دليل واضح على تمكن المؤلف من المنهج التاريخي وتحكمه في التقنيات[1].

من خلال هذه الملاحظات فإن نظرة عبد الملك مرتاض للمنهج التاريخي شاملة ومتقدمة جدا.

لقد انتهى عبد الملك مرتاض في كتابه إلى أن الفن القصصي الحديث في الجزائر عَدم القصة الطويلة والرواية الفنية ماعدا " غادة أم القرى " **لأحمد رضا حوحو**"، التي عالج فيها موضوع الحجاب وما ينشأ عنه حوله من كبت المرأة ، وموضوع التقاليد والأعراف البالية .

ويتسائل الكاتب عن السبب الذي منع الكتاب الجزائريين من معالجة الرواية هو راجع إلى نضوب في الخيال؟ أم الأمر يرجع إلى عدم وجود دور النشر؟ أم عدم وجود قراء؟ أم عدم وجود كفاءات أدبية متمكنة؟ أم أن الأمر يرجع إلى كل ذلك جميعا؟ منتهيا إلى أن الإجابة الدقيقة صعبة .

[1] عبد الملك مرتاض فن المقامات في الأدب العربي، ص ص 121–122.

إن عبد الملك مرتاض يعد من أكثر النقاد إطلاعا على المناهج الغربية، التي تعتبر أن المنهج التاريخي أحد منتجاتها وهو السبب نفسه الذي جعل دراسة مرتاض للقصة أكثر نضجا وأدق منهجية من دراسة الركيبي.

فالواضح أن كتاب " **فن المقامات في الأدب العربي**" يمثل القفزة المنهجية الأولى التي قفزها – مرتاض – منتقلا من الانطباعية إلى التاريخية، حيث بدأ من أحاديث الطفيليين العرب الذين يأتي على رأسهم " **أشعب** " ومرورا بأحاديث " **الجاحظ** "، و" **بن دريد** " إلى مقامات الزهاد والعباد التي تطورت إلى أن أبدع فيها " **بديع الزمان الهمذاني** " حتى استحق بها اسم " **البديع** " وبقيت تتطور بعده عبر العصور حتى تعلق بها الفصحاء، وحاولوا تقليدها أمثال : " **الحريري** " ، و" **ابن الجوزي** "، و" **السيوطي** "، و" **الياجزي** "، وحتى " **المويلحي**"، و" **البشير الإبراهيمي** "، وكثيرون غيرهم....[1]

فقد بدا عليه أنه يتحكم في عدته المنهجية التاريخية بكفاءة عالية، بعيدة عن التأثرية و الانطباع الآني، بل يجب التأكيد على أن المنهج التاريخي الذي تناول به مرتاض " **فن المقامات في الأدب العربي**" لم يكن بالمفهوم السلبي الذي يفهمه به كثير من الدارسين البسطاء الذين يعتبرونه مجرد تتبع لتطور الظواهر الأدبية عبر التاريخ، بل ممزوجا بالدرس والتحليل المضموني والتعليل والتدليل حتى أنه شمل كل ما يحتويه، المنهج التاريخي من علمية وصرامة في حصر الظواهر الأدبية وتفسيرها.

[1] عبد الملك مرتاض فن المقامات في الأدب العربي، ص 64 .

لقد ظهر – مرتاض – في هذه الدراسة أشد ما يكون فهما للمنهج التاريخي، الذي هو أكثر علمية وصرامة قياسا بالمنهج الانطباعي، وما يجب أن يكون عليه من عاطفية ونزعة إلى الحرية في الأدب، لأن أصحابها يرون أن الأدب خلق وإبداع فني ولا قانون يحكم الإبداع خلقا وتذوقا[1] .

أما بنسبة إلى تقنية المنهج التاريخي فقد تطورت أكثر عند مرتاض من خلال دراسته لـــ كتاب " **فنون النثر الأدبي في الجزائر** " حيث ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب وهي كالتالي[2]:

الباب الأول : الحياة العامة في الجزائر

- الفصل الأول: الحياة السياسية والاجتماعية في الجزائر.
- الفصل الثاني: الحيلة الثقافية والفكرية

الباب الثاني: فنون النثر الأدبي في الجزائر

- الفصل الأول: فن المقالة
- الفصل الثاني : الفن القصصي (القصة القصيرة والقصة الطويلة)
- الفصل الثالث: الفن المسرحي
- الفصل الرابع: حركة التأليف

[1] عبد المجيد حنون : اللانسونية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث .المقدمة، ص(أ).

[2] عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، دط، 1983، ص2.

- الفصل الخامس: فنون أدبية أخرى (الخطابة، المذكرات والسيرة الذاتية، و الرسائل)

الباب الثالث: الخصائص الفنية للنثر الأدبي الحديث في الجزائر.

- الفصل الأول: المذهب الفني للنثر الأدبي.
- الفصل الثاني: الإطار الفني للمقالة، وخصائصها.
- الفصل الثالث: البناء الفني في القصة و المسرح.

تعتبر هذه الدراسة ملمة بالأنواع الأدبية المختلفة، والتي ظهرت في العقد الرابع من القرن الماضي بالجزائر (فن المقالة، الفن القصصي، الفن المسرحي، حركة التأليف الخطابة، المذكرات، السيرة الذاتية والرسائل).

ويرى- يوسف وغليسي – أنها تهيمن عليها روح تاريخية بينّة: فقد وقف أول باب منه على بسط تاريخي سياقي للحياة العامة آنذاك (في تمفصلاتها السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية)[1].

ويكون ذلك طبيعيا بحكم الأسباب التالية:

1- بحكم أن هذا الكتاب جاء بعد " **فن المقامات في الأدب العربي** " مما جعل التجربة الشخصية لمرتاض تتطور وملكته تنمو أكثر فأكثر.

2- بحكم أنه رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة .

[1] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك، ص43.

3- بحكم أن المؤلف وهو يكتب " **فنون النثر الأدبي في الجزائر**" كان مسجلا في سربون وهي جامعة لا شك أنها أكثر تطورا من جامعة الجزائر[1].

فواضح أن " **فنون النثر الأدبي في الجزائر**" طغى عليه المنهج التاريخي، باعتبار أن الباحث كان يسعى إلى ملاحقة فترة زمنية في تاريخ الجزائر، وهي فترة (1925 – 1954) ومحاولة استجلاء عطاءات هذه الفترة الثقافية والفكرية والإبداعية، إذ بدأت دراسته تاريخية موضوعاتية معتمدا على تطور الموضوعات في البداية، ثم أصبحت فنية تعرض أسلوب النثر الأدبي من حيث المؤثرات، وخصائصه الفنية المشتركة بين المقالة والقصة والمسرح بصفة خاصة.

فالمتتبع لكتاب " **فنون النثر الأدبي في الجزائر**" فإنه يجده لا يقل أهمية على" **فن المقامات في الأدب العربي** " في تطبيق المنهج التاريخي تطبيقا علميا، يأخذ من العلم روحه التي تستوجب الدقة في الأحكام المنهجية في البحث والاستقصاء والتحقيق، فلقد أرجع الكاتب سبب اختياره هذا البحث لعدة أسباب أهمها:

– نضج الحياة العامة في الجزائر في هذه المرحلة، خاصة بعد تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، مما يجعل هذه الفترة قمة للنهضة الثقافية في تاريخ وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر[2]، الشيء الذي دفع الكاتب بقوة إلى وجوب مدارستها.

[1] عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص4.

[2] عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ص5.

– حبه الشديد للنثر الأدبي في الجزائر، وقد تنامى خاصة بعد دراسته لموضوع " **فن المقامات في الأدب العربي** " الذي نال به دكتوراه الطور الثالث وهو ما يؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه آنفا في وجود الصلة القوية بين الكتابي " **فن المقامات في الأدب العربي** " و" **فنون النثر الأدبي في الجزائر**".

سواء على مستوى الموضوع أو على مستوى المنهج، ولعل المنهج التاريخي الذي اتبعه "عبد الملك مرتاض" لمدارسة هذا الموضوع هو الذي أضطره إلى أن يبدأ بعرض مسهب للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية العامة في الجزائر إبان مرحلة الاستعمار وقبلها أراد ورائه كما يقول تهيئة الجو العام للدراسة الأدبية ووضع قاعدة عامة تقوم عليها، وتمكن لها في النماء بدون قلق ولا نشاز[1].

ولذلك صرح المؤلف أن هذا المنهج فتح له بابا عريضا دخل منه عالم ضخم من النصوص المطبوعة والمخطوطة واضطره إلى معالجة كل فنون النثر الأدبي، بدءا بالمقالة ومرورا بالفن القصصي والمسرح، إلى الخطابة والرسائل والمذكرات والسير الذاتية وغيرها.

وهو ما نعتبره نحن من صميم المنهج التاريخي، الذي يعتمد عل البحث والتنقيب والإنكباب الطويل على الجمع والاهتمام بالوثائق والمخطوطات والأرشيف[2].

[1] المرجع نفسه، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص90.

الفصل الثالث : التركيب المنهجي في النقد عند عبد الملك مرتاض

- مرتاض والحداثة

- المنهج البنيوي الأسلوبي

- المنهج السيميائي التفكيكي.

1 – مرتاض والحداثة

عرف النقاد العرب مفهوم الحداثة فحاولوا الخوض في كل ما هو حديث و حداثي ويظهر ذلك في دراستهم النقدية المختلفة، فقد استوعبوا المناهج النقدية الغربية المعاصرة ودخلوا مجال الدراسات النقدية الحديثة بكل إجراءاتها وآلياتها المتنوعة والمختلفة .

من بين هؤلاء نجد "**عبد المالك مرتاض**" الذي كان له حديث في هذا الشأن، خاصة في كتابه " نظرية النقد " حيث يحاول التأسيس لنظرية نقدية عربية معاصرة، تختلف عمّا عرفه النقد العربي من قبل وليس هذا إلا دليلا على الروح الحداثية التي يتميز بها النقاد بالإضافة إلى التزامه بالأصالة والعودة إلى التراث العربي في الدراساته كلما سمح له الأمر بذلك.

فقد مر الناقد بنفس بالمحطات المختلفة والمتعددة التي مر بها النقد العربي منذ تواجده واهتمامه بالنصوص الشعرية في الجاهلية، ولهذا أقر " مرتاض " بأزلية الصّراع بين القديم والجديد، وبأنها في الحقيقة مسألة تثار في الأدب العربي في كل الأزمنة ومنذ العصور القديمة[1].

[1] عز الدين الخطابي، أسئلة الحداثة ورهناتها والسياسة والتربية، منشورات الإختلاف (الجزائر) ،ط1،2009م، ص17.

أمّا بالنسبة للحداثة، فيقول:"... وأعتقد أن العرب واجهتهم مسألة الحداثة انطلاقا من ظهور الإسلام، بتغيّر الأفكار، اتساع الأفاق، وتسامي المبادئ..."[1]، انطلاقا من هذه الفكرة عرض" مرتاض " مجموعة من الآراء التي تثبت موقفه، فأشار مثلا إلى المعركة – كما يسميها، ويقصد بها اختلاف الآراء وتضاربها– التي أثارها "**على بن عبد العزيز الجرجاني** " في كتابة " الوساطة بين المتنبي وخصومة "، فيقول مرتاض بهذا الشأن: ...غير أن هذه أن المعركة لم تتناول إشكالية الحداثة الشعرية، على ذلك العهد على كّل حال، بمقدار ما تناولت آراء النقاد الذين عاصروا المتنبي حول شعره..."[2] وبالتالي ينتهي مرتاض إلى أنّه أيّا كان الشأن، فإن مسألة الصراع بين القديم والحديث، أو بين التقليدي والجديد، ليست بجديد في الفكر النقدي، فقد عرفها العرب منذ القرن الأول للهجرة[3].

من هنا، يشير مرتاض إلى موقع النقد القديم في العصر الحديث. ومثّل لذلك بالخلاف الذي وقع بين "مصطفى صادق الرافعي وطه حسين " بخصوص القديم والجديد، فأشار إلى أن" طه حسين " كان يدافع عن الكتابة الحداثية (والحداثة هنا بالمفهوم النسبي،أي بمفهوم حداثة تلك المرحلة) وبأن "مصطفى صادق الرافعي " كان يدافع عن كل ماهو تقليدي وأصيل في الكتابة الأدبية .

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص56.

[2] عز الدين الخطابي، أسئلة الحداثة ورهناتها والسياسة والتربية، منشورات الإختلاف (الجزائر) ، ط1،2009م، ص56.

[3] نبيل داود وفيصل الأحمر، الموسوعة الأدبية ن دار المعرقة ، الجزائر ، ج1،2008، ص157.

في خضم تضارب هذه الأراء المتعددة والمختلفة، بين من يميل إلى التصور التقليدي فيؤمن بالماضي ويحرص على احترام أصوله وتقاليده وبين من يؤمن بالتصور الجديد الذي يرى أن الماضي ليس إلا منطلقا للتطلع إلى آفاق واسعة للإبداع والابتكار والتجديد، يثور هذا التصور عادة على كل ما هو غير لائق بالعصر معرفيا منهجيا.

نجد "مرتاض " يتخذ موقفا حياديا بين التصورين فيشرح أنه أيا كان الشأن، فإن هذه المسألة خلافية كما كان يعبر الفقهاء، بين النقدين : التقليدي والجديد، ولذلك يعتقد "مرتاض" بأن كلا الموقفين يبالغان في موقفهما، فيقول :"...لا الاشتغال بحياة المؤلف و أسرته وزمانه ومكانه وعرقه وكل شؤونه التي تنصرف إلى إنسانيته أو رجولته ممّا يساعد على الفهم الصحيح لعلمه الأدبي ولا إهمال المؤلف جملة وتفصيلا، وتحت الإصرار المبيّت، مما يظاهر القرئ، أو المحلل ،على فهم العمل الإبداعي أيضا. وربما كان الموقف الوسط هو الأسلم في تدبير هذه المسألة و تقريرها ..."[1]، لأن المعرفة بحياة المؤلف تساعدنا بسرعة للوصول إلى فهم حقيقة علمه الإبداعي ولكن عدم المعرفة بها لا يمنعها بتاتا من فهم إبداعه ولهذا يتخذ "مرتاض " هذا الموقف الحيادي بين القديم والجديد[2].

وانطلاقا من مفهوم" الحداثة ".عالج "مرتاض " مسألة النقد الأدبي التي ضمّنها بطريقة غير مباشرة إلى دراسات التقليدية، كما تعرض أيضا لمفهوم التحليل الأدبي الذي

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص63.

[2] المصدر السابق، ص 66.

ينتمي إلى النقد الحداثي الجديد، فنلاحظ أنه يميز بينهما فيقول :"...النقد يستند في ممارسته ووظيفته إلى جملة من المعارف الإنسانية الكبرى مثل التاريخ... والفلسفة، والمنطق...وعلم الاجتماع وعلم النفس... على حين أن التحليل الأدبي، وعلى الرغم من أنه يستند في نشاطه إلى إحدى هذه الثقافات المعرفية، فإنه يمكن أنى ينفلت ويفلت... من قبضه التاريخ مستخدما إجراءات فنية وتقنية، ومعرفية جديدة "[1] .

ولذلك يعرض " مرتاض " بحثا عن إبن قتيبة فيثبت حداثيته، فيشير إلى أن "ابن قتيبة" الذي يعتبر من النقاد العرب القدامى قد رفض عامل الزمن أو المبدأ السبق التاريخي – كما يقول– لتطوّر الأدب، وذلك لأن الجودة لا تكون متعلقة بالأسبقية في الزمن وإنما تكون متعلقة بذات العمل الأدبي، وأن" ابن قتيبة " قد صرح بموقفه هذا في كتابة "الشعر والشعراء "،فقد خالف ماكان شائعا بين النقاد القدماء ،وهو أنهم يحكمون علي جودة العمل الأدبي لصالح المبدع الأسبق في الزمن[2].

" **فابن قتيبة** " رفض هذه الفكرة وعمد إلى الجمال الفني للنص الأدبي كمعيار يتحكم إليه وبالتالي يصفه " مرتاض " بالحداثي لأنه استطاع أن يخرج عما كان سائد في عصره و ماكان قبله فقد أتى بجديد مغاير لما عرف في النقد الأدبي آنذاك، فيقول :"... وأيّا كان الشأن، فإن ابن قتيبة كان من الجرأة الأدبية ما جعله يجهر بضد ما كان النقاد والرّواة

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص67.

[2] المصدر نفسه، ص 68.

يعتقدون، فرفض أن يربط جودة الشعر بماضية زمنه، كما رفض الحكم القائل بإمكان لمجرد أنه جديد أو حديث ..."[1].

ولذلك نقول إن مرتاضًا يميل إلى التجديد والحداثة، لكن بطريقة ذكية، لأنه لا يرفض القديم وكل ما هو تقليدي، فهو يعتبر كل قديم حديثا، في عهده، وهكذا سيحدث مع كل نقد نعتبره اليوم حديثا ويبرر موقفه فيقول: ".... فلو افترضنا أن الشعراء ظلوا يلجون في تقليد القديم، وترداد تلك المطالع، والاختفاء ببيئة لم يعايشوها عن كتب، لضلت سبيل الشعر ولتدنت منزلته، ولما كان أبو نواس، والبحتري، وأبو تمام و سواهم من الشعراء الذين طوروا القصيدة العربية في تشكيلها ولغتها، وتتطلعوا إلى الثورة على ما كان يعرف من قديم الشعر الذي جماله لا يشفع له في أن يضل منوالا يحتذي عليه في كل العصور التالية..."[2]

من هنا يظهر بوضوح أن " مرتاض" من مشجعي الحداثة ،لأنها في حقيقة الأمر سبب تطور النقد الأدبي، ومختلف الأعمال الإبداعية؛ فالتغير وتقبل التحول والاختلاف من المبادئ النقدية الحديثة، وبرفضنا لها لا يمكننا الاستمرار في ميدان الدراسات الأدبية، لا وبل في جميع مجالات الحياة المعاصرة ،خاصة وأن العالم قد دخل في مفهوم العولمة التي كانت نتيجة لهذه الحداثة وما بعدها .

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص46.

ولكن مع ذلك؛ نجد أن مرتاض من المتأصلين في الأدب العربي، فهو رغم تشبعه بالثقافة النقدية الغربية، ورغم خوضه في مختلف مجالات وإجراءات النقد الحديث، إلا أننا نلاحظ أنه يعود دائما إلى التراث العربي، والفكر الأصولي، ويحاول إيجاد مقابلات وجذور عربية لمختلف المسائل والقضايا، فهو من الحداثيين والمحافظين في الوقت نفسه، فيقول في مقدمة كتابة "في نظرية النقد" "....أفلم يأن أن نطمح إلى أن يكون لنا نقد نحن أيضا- أي كالغرب- كما كان ذلك لأجدادنا الأكرمين أحسن الله إليهم ؟..."[1]

فإذن" مرتاض " غيور على أصوله العربية، و مفتخر بتراثه وانتماءه العربي، رغم كونه من النقاد المحدثين والحداثيين .

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص22.

2 – المنهج ا لبنيوي الأسلوبي:

إن التجربة النقدية لدى" **عبد الملك مرتاض**" جعلت مشروعه النقدي لا يطمئن على منهج واحد في المقاربة أو تحليل النص الأدبي، سرديا كان أو شعريا، لافتقار هذا الأخير لتقنيات يسدّ بها متطلبات النص الأدبي، حيث يرى أنه " لا يوجد منهج كامل ، مثالي لا يأتيه الضعف ولا النقص من بين يديه ولا من خلفه ، إذن فمن التعصب ...التمسك بتقنيات منهج واحد على أساس أنه، هو وحده ولا منهج آخر معه[1] " .

من هذا نعد " **عبد الملك مرتاض** " من أكثر النقاد توزعا بين المناهج المتباينة الطرح انطلاقا من المناهج السياقية مرورا بالمناهج النسقية منتهيا إلى التركيب المنهجي المفتوح والمنتشر، الذي دعا إليه بإلحاح في أكثر من مقام إيمانا منه أن " التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية.

فمن خلال المفاهيم والنظريات الغربية التي استوعبها مرتاض، وتلك المناعة النقدية التراثية التي اكتسبها، استطاع خلق القراءة المركبة ليلج بواسطتها إلى أغوار النص، كاشفا عن جملة المركبات اللسانية والإيديولوجية والجمالية والنفسية بوعي كبير على سبيل المزاوجة أو المثالثة أو المرابعة، وربما المخامسة بين طائفة من المستويات.

[1] يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص43

ودّع مرتاض المنهج التاريخي ليرتقي نوعيا إلى مرحلة أخرى تتسم بالتحول والتطور وذلك تماشيا مع تحولات العصر في هذا الجانب، إذ أسّس مرتاض لمرحلة جديدة مع المناهج النصانية الحديثة التي جاءت على أنقاض المناهج السياقية التقليدية التي كفر بها ويمكن التمثيل لهذه المرحلة بالنماذج التالية :

1- بنية الخطاب الشعري " بنية دراسة تشريحية لقصيدة أشجان بمنية ".

2-القصة الجزائرية المعاصر.

أما بنسبة إلى كتابه " **بنية الخطاب الشعري ، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية**" فقد قسمه " مرتاض " إلى مجموعة من المباحث، التي درس من خلالها مجموعة من الخصائص المختلفة، التي تتميّز بها القصيدة .

فبدأ هذا الكتاب بتقديم نظرة عامة حول نظرية الشعر، حيث أشار إلى أنّ نقد الشعر في القديم كان يعتمد على الذّوق في الحكم على جودته أو رداءته [1].

ثم ارتقى النقد العربي إلى ما يسميه بالتنظير المدرسي، أي إلى تمثل الشعر في بنيته قائمة على ملاحظة اللّغة الفنيّة المستخدمة في النص والحركة التي تتحكم في هذه اللّغة فتفضي بها إلى نحو غايتها.

1 عبد الملك مرتاض : بنية الخطاب الشعري "دراسة تشريحية لقصيدة اشجان يمنية" دار الحداثة ، ط1،1986، ص15.

واستشهد بما توصّل إليه الجاحظ عندما حاول تأسيس نظرية شعرية قائمة بذاتها وشرح أهم المبادئ التي تنبني عليها هذه النظرية .

ثم أشار **مرتاض** إلى أن الشعر العربي كان متأخرا في التطوّر مقارنة مع الجديد الذي حدث في الشعر الغربي، خاصة مع ظهور البلاغة الجديدة، واختلاف اتجاه الشعراء .

ثم تطرّق إلى حركة الشعر العربي الحديث الذي ظهر مع الشعراء العرب مثل: **بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة**... وغيرهم .

وفي آخر الكتاب نجده يتحدّث عن قضية التأثير والتأثر التي حدثت بين الشعراء الغربيين والشعراء العرب والذي سمّاه بـــ " **امتزاج الشرق والغرب** " [1].

فقد شرح كيفية ترتيب كتابه، حيث قام بتناول بنية الخطاب الشعري فتناول :

البنية الخارجية في الفصل الأوّل، والصورة الشعرية لدى" **المقالح** " في الفصل الثاني، أما الفصل الثالث فقد عالج الحيز الأدبي، وفي الرابع تناول التعامل مع الزّمن، أما الفصل الخامس فقد خصصه لدراسة الصّوت الإيقاعي في تلك القصيدة، وختم هذه الدراسة بالنظر في المعجم الفنّي.

[1] المصدر نفسه، ص25.

أما إذا جئنا إلى مناقشة المنهج المستعمل، فإننا نلاحظ التذبذب وعدم تحكم المؤلف في عدته المنهجية، كما أن فهرس الكتاب نجده يتكرر أيضا وفق هيكل واحد مع معظم كتابات " عبد الملك مرتاض " الحداثية، إذ يدرس البنية الأدبية، والصورة، والحيز، والزمن ثم الإيقاع...يتناول ذلك بطريقة آلية تكاد تكون واحدة.

فضلا عن أن المؤلف قد درج كتابه على إثبات تمهيد طويل، يتناول فيه موضوعا لا صلة له بموضوع الدراسة، وهو ما ينافي المناهج الحداثية التي لا تركز إلا على النص[1].

إذ ذهب في الدراسته مطنبا في الحديث عن نظرية الشعر، فيما يناهز الثلاثين صفحة وهو بذلك قد وقع في خطأ منهجي، أنه خرج عن النص ليخوض في خارجياته حوالي ثلاثين صفحة، وهو ما لا يوافق البنيوية ولا الأسلوبية، لأن كليهما يركزان إلا على النص.

هذا فضلا عن إنسياق المؤلف وراء المنهج الإحصائي في الكثير من أجزاء الكتاب وخاصة في دراسته للبنية.

و يمكننا أن نضرب مثلا بالإحصاءات الكثيرة والدقيقة التي انجر وراءها المؤلف حيث توصل في دراسته " **أشجان يمنية** " إلى النتائج التالية:

- عدد الأسماء الكاملة المعرفة بـــ " ال" 117 اسما.

[1] المصدر نفسه، ص 96.

- عدد الأفعال 89 فعلا تتوزع على النحو التالي :

* الماضي 31فعلا

* المضارع 63 فعلا

* الأمر 5 أفعال

- عدد الأبيات المبتدئة بفعل ماض : 27 بيتا

- عدد الأبيات المبتدئة بفعل مضارع : 32 بيتا

- عدد الأبيات المبتدئة بفعل أمر 4 أبيات

ثم ينساق المؤلف وراء استخراج النسب المئوية الدقيقة، فيلاحظ أن الأسماء الكاملة هي التي تطغى على نسج الخطاب بنسبة 82,77 ونجد الأبيات المبتدئة بالأفعال تشكل نسبة 48,22 [1].

ويمكننا أن نجمل بعض المآخذ التي رصدناها من خلال كتابه " **بنية الخطاب الشعري: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أشجان يمنية** " فيما يلي :

1- التكرار والتداخل وعدم الوفاء بمقتضيات العناوين: إذ نلاحظ من خلال عنوان الدراسة أن الكاتب يقتصر دراسته على قصيدة واحدة في الكتابه " **بنية الخطاب الشعري** " هي" **الأشجان اليمنية** " نجده يخرج عن نص القصيدة إلى قصيدة أخرى للشاعر المقالح عنوانها " **الخروج من دائرة الساعة السليمانية** ".

[1] عبد الملك مرتاض : بنية الخطاب الشعري " دراسة تشريحية لقصيدة " اشجان يمنية " دار الحداثة ، ط1، 1986، ص38.

2- التعميم والتعسف في إصدار الأحكام: أما التعميم فقد أخذ مكانا شاسعا من الكتاب " بنية الخطاب الشعري "، وهذا ما جعلنا نتساءل: هل يمكن لقصيدة واحدة مهما كانت روعتها، ومهما كانت لشاعر كبير مثل " **المقالح** "، أن تكون دليلا كافيا عن بنية الخطاب الشعري؟[1]

وهذا ما دفعت بالدكتور" **فاضل ثامر**" إلى وصف " مرتاض " بأنه لم يصل بعد إلى الوضوح المنهجي الكافي لإرساء قواعد لتجربة قرائية طموح في قوله:" تحفل المكتبة العربية بمجموعة طيبة من التجارب، تظل إما تقليدية، أو أسيرة لسلطة النص، ولا يبدو توظيف مصطلح القراءة مبررا بالنسبة لتجارب أخرى . فالدكتور عبد الملك مرتاض يقدم لنا تجربة قرائية لقصيدة عربية معاصرة للشاعر اليمني الدكتور المقالح تحت عنوان " بنية الخطاب الشعري : دراسة تشريحية لقصيدة " أشجان يمنية " وهذه التجربة لا تنتمي في واقع الأمر إلى منهجية القراءة التشريحية أو التفكيكية، بل هي خليط من القرءات التقليدية، والأكاديمية، والإنطباعية، والبنيوية "[2].

ومهما يكن فإن كتاب عبد الملك مرتاض " **بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية** " ، قد أثار سجالا واسعا في الأوساط النقدية العربية، فكتبت عنه

[1] المصدر نفسه ، ص ص 62 – 69.

[2] د. فاضل ثامر: مقاربات النقاد المعاصرين، دار الحداثة ، ط1، 1981، ص73.

دراسات عدة تتراوح بين المدح والقدح، إذ يعد فتحا جديدا في مجال النقد العربي الحديث في الجزائر، خاصة إذ قارناه بالعقم الموجود في الساحة النقدية.

في حين نجد كتاب " **القصة الجزائرية المعاصرة** "، وهو العنوان الذي يحمله كتابه الذي سنتناوله بالدراسة.

ولكن قبل الشروع في هذا الموضوع سنحاول إعطاء نظرة موجزة عن هذا الجنس الأدبي الذي عرفه العرب مؤخرا كباقي الأنواع النثرية الأخرى.

إذ تعد القصة من أبرز الفنون النثرية التي عرفت رواجا و ازدهارا في الأدب الجزائري خاصة بعد تراجع الشعر لأسباب تاريخية تعود إلى الحروب والأزمات التي عاشتها الجزائر.

لقد ترك الشعر المجال لتطور أنواع أدبية أخرى، ومن بينها القصة ومنذ سنة 1947م، وبالتحديد في الجزائر، عرف فن القصة تطورا ملحوظا، خاصة بوجود مجلة " **البصائر** " التي حظيت بانضمام " **أحمد رضا حوحو** " بعد أن رجع من الحجاز في مطلع سنة1946 [1]، منذ ذلك الحين ظهرت دراسات كثيرة ومتعددة و بالخصوص بعد

[1] شرييط أحمد شرييط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947-1985م، على الموقع الإلكتروني

الاستقلال حيث ظهرت عدة دراسات تطورت فيها نظرة الكتاب إلى القصة بصفة ملحوظة، سواء من حيث الرؤية الفنية أو من حيث الموضوعات[1].

والملاحظ أن في أغلب تلك البحوث – كما يقول شريط في دراسته – هو أنها ركزت على بعض الجوانب فقط من القصة، حيث يغلب على هذه الدراسات الاهتمام بالمضمون والجانب الفكري، دون إعطاء الفني عناية كبيرة.

وانطلاقا مما سبق فإن" عبد الملك مرتاض " قسم كتابه" **القصة الجزائرية المعاصرة** " إلى ثلاثة أقسام كبيرة وهي :

القسم الأوّل بعنوان : في مضمون لقصة الجزائرية المعاصرة ، قسمه إلى فصلين : يتناول في الأوّل المضمون الاجتماعي في القصة الجزائرية المعاصرة ، وذلك من خلال تحليله لستة مجموعات هي: الكاتب والقصة أخرى لابن هدوقة ، الأشعة السبعة لابن هدوقة، القرار للحبيب السائح، الصعود نحو الأسفل للحبيب السائح ، الأضواء والفئران لمصطفى فاسي، الصداع الأحمر منوّر.

حيث وجد أن مواضيع ومضامين هذه القصص ينصب على الأوضاع والوقائع الاجتماعية للجزائر كمواضيع: الهجرة، والأرض والسكن

[1] المرجع نفسه،(المقدمة)، الصفحة نفسها.

أما الفصل الثاني بعنوان: المضمون الوطني في القصة الجزائرية المعاصرة، فقد تناول فيها (القصص) تأويل الرّموز كالأم، و الأب، وغيرها.

القسم الثاني يحمل عنوان : الشخصية وحيّزها، ومقسم هو الآخر إلى فصلين ، حيث تعرض في الأول إلى ملامح الشخصية في القصة الجزائرية المعاصرة، وذلك من خلال بناء الشخصية والحدث في عدّة قصص منها: قصة هلا، وقصة الأضواء، والفئران وقصة إجازة بين الثوار، وقصة الرجل المزرعة، وقصة تحت السقف[1].

أما الفصل الثاني، فقد تعرّض إلى خصائص الحيز في القصة الجزائرية المعاصرة فبدأ بالخصائص الفنية المشتركة بين القصص السابقة ثم درس خصائص الحيّز فيها.

وفي القسم الثالث من الكتاب فقد تناول خصائص اللغة الفنيّة في القصة الجزائرية المعاصرة، وذلك من خلال ثلاثة فصول، فدرس الأول: المعجم الفنّي لدى السائح، وفي الفصل الثاني المعجم الفنّي لدى ابن هدوقة ، وفي كلا الفصلين استعان بالمنهج الإحصائي وطريقة الجدول لتحليل وتفسير نتائجه.[2]

أما الفصل الثالث والأخير فقد تعرّض لتحليل القضايا الفنية المشتركة في القصص التي أخضعها للدّراسة، فبيّن ما يلتقي فيه القاصون الخمسة، وبين خصائص النسيج

[1] عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة ، دار المغرب للنشر و التوزيع، وهران، ط2،ص85.

[2] عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة ، دار المغرب للنشر و التوزيع، وهران، ط2،ص 128.

اللغوي لدّى كلّ من" **سعدي، فارسي، ومندور**" وانتهى بما يشترك فيه القاصون في مادة الخطاب والتي هي اللغة، فأخضعها للدراسة .

وانطلاقا من هنا، وإذا عدنا إلى لغة مرتاض في تحليله ، فإننا نجد في قمة السلم اللّغوي، فلغته راقية، ودقيقة، ومستعملة بشكل مركّز، وعلى درجة من العلمية، خاصة في دراسته الإحصائية، والتحليلية حيث قام بتحليل وتفسير وتأويل مختلف الرّموز وذلك ضمن الواقع والعرف والمضمون الثقافي و الاجتماعي للشعب الجزائري، إذ تناول مرتاض "القصص الجزائرية "، فحلّلها بطريقة علمية بنائية، ولكن بطريقة غير مباشرة، فهو لم يصرح بالمنهج الذي يتخذه في تحليله، ولذلك فمرتاض قد أصدر أحكامه انطلاقا من بنية النصوص القصصية التي أخضعها للدّراسة، وهذا ما يميّز دراسته ويضمن فيها اللّغة العلمية المركّزة والدقيقة [1].

إلا أننا نلاحظ شيئا آخر مهمّا في لغة " مرتاض " وهي إمكانية إدراجها في مقام من الأدبية ووصفها بالشعرية كما يقال، فلغته أدبية بنسبة كبيرة جدّا على خلاف اللغات النقدية البارزة التي نجدها عند بعض النقاد، فهي حافلة بالألفاظ الموحية .

ويعود ذلك بلا شك إلى خوضه مجال الأدب بكل قوّة، فقد كتب في عدّة مجالات وتناول مواضيع متعددة ومختلفة خلال مساره الأدبي، فنجده ناقدا ، وأديبا، ومبداعا ... فهو ناقد متمكن من الشعر والنثر والنقد واللّغة ويتميز بدرجة عالية من الثقافة والأدب .

[1] عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة ، دار المغرب للنشر و التوزيع، وهران، ط2، ص45.

وفي بعض الأحيان يصعب على الطالب المبتدئ والبسيط فهم صلب الموضوع أو الأفكار التي يريد " مرتاض " إيصالها إلى المتلقي بسبب تلك اللّغة الشعرية التي تميّز كتاباته، فنأخذ مثلا في مقدّمة كتابه " القصة الجزائرية المعاصرة " حيث يقول: " ....وتشتت المثقفون الجزائريون في أصقاع من الأرض شذر مذر ، وكان لهم في الوطن العربي– أساسا – متبوّأ ومقام ، وكان لهم من أهله امتزاج وامتشاج ...[1]".

ومن خلال هذا الكتاب نحاول إظهار رؤية الدكتور" **عبد الملك مرتاض** " ، و نظرته إلى هذا النوع السردي الأدبي المعاصر ففي مقدمة الكتاب ، فقد تناول مسار ظهور القصة الجزائرية فأشار الى أن ميلاد القصة الجزائرية كان على يد "محمد السعيد الزاهري " الذي نشر في 07 – 1925م ، في جريدة الجزائر ، أول محاولة قصصية في تاريخ القصة الجزائرية الحديثة تحت عنوان :" فرانسوا والرشيد " ، ثم برز آخرون ، مثل : " محمد العابد الجلالي" الذي نشر محاولته الأولى في سنتي 1936م ، و1937م بمجلة الشهاب الباديسية القسنطينية ، وكان يوقعها باسم مستعار هو " رشيد " ، ثم ظهرت أيضا محاولة "أحمد بن عاشور" الذي نشر محاولاته في جريدة البصائر الثانية ، وبعده "أحمد رضا حوحو "وهو يعتبر "مؤسس القصة العربية الفنية "وذلك من خلال مجموعاته الثلاثة : " صاحبة الوحي وقصص أخرى " ، و "نماذج بشرية " و " مع الحمار الحكيم "

[1] المرجع نفسه، ص132.

وقد ظهرت هذه المجموعات سنتي 1954م و 1955م .ثم نشر " أبو قاسم سعد الله الذي نشر قصة في جريدة البصائر الثانية ، في أوائل الخمسينات بعنوان " سعفة خضراء ...[1].

وهذا ما ساعد مرتاض في تقسيمه لمراحل ظهور وتطوّر القصة الجزائري إلى مرحلتين وهما:

* 1925م – 1947م : يسميها بمرحلة التأسيس التي تتميّز بالتفاوت في الرّؤية الخيالية بين المؤلّفين ، والتفاوت في المعالجة الفنية أيضا فيما بينهم .

* 1947م – 1955م : تتميز بظهور قصة "غادة أم القرى " ، وينتهي بظهور قصة "سعفة خضراء" لسعد الله ، ونماذج بشرية " لحوحو.

بعد الثورة ظهرت مرحلة أخرى حاولت التعريف بالثورة الجزائرية وذلك في أشكال أدبية مختلفة، كالمقالة والقصة و القصة القصيرة ...و في هذه الأخيرة، ظهر كتاب مختلفون نجد منهم : ابو العيد دودو ، عبد الحميد بن هدوقة ، وعبد الله ركيبي والطاهر وطار ، وعثمان سعدي ، وغيرهم ويصف مرتاض القصة التي ظهرت في تلك الفترة فيقول : " ...القصة القصير ة ، المعاصرة في الزمان ، العالية في التقنيات ، المشرئبة إلى الالتصاق بالواقع الاجتماعي الأكثر يومية ... وإذا القصة القصيرة في الجزائر تتخذ

[1] عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة ، دار المغرب للنشر و التوزيع، وهران، ط2، ص ص 7-8.

لها مسار نهائيا ، أو شبه نهائي وإذا هي تترجم إلى بضع لغات عالمية ، وهذه هي المنزلة التي تتبوّؤها القصة القصيرة في الجزائر....[1]

من هنا يبدأ مرتاض يطرح في طرح الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في كتابه هذا ويشرح بأنه سيتناول في دراسته القصة الجزائرية المكتوبة بالغة العربية، ولا ينفي تأثرها بما كتب في الشرق والغرب، سواء كانت باللغة الفرنسية أو بغير الفرنسية، بقراءة مباشرة أو مترجمة ...كما أثّرت هي الأخرى على الأجانب.

كما أن مرتاض يصنّف القصة الجزائرية ضمن التراث القصصي الإنساني، نظرا لما تحمله من مضمون نبيل، ومن تطلع إلى الدّفاع عن الحرية وحقوق الإنسان، ولهذا فهي عالمية التأثير خاصة وأنها ترجمت إلى عدة لغات وبسبب استقلاله كجنس أدبي له أعلامه وإنتاجه الغزير والمتنوع ، سعى مرتاض لدراسة القصة الجزائرية المعاصرة من خلال كتابه هذا بعنوان " القصة الجزائري المعاصرة "[2] .

لقد كان كتاب " القصة الجزائرية المعاصرة " عبارة عن فصل واحد بعنوان " المضمون الاجتماعي في القصة الجزائرية " وكان بحثا قدّمه الكاتب في جامعة وهران ثم بسبب أهمية الموضوع أضاف إليه مسائل أخرى وجعل منه كتابا ، خاصة وأنّ موضوع القصة لا نجد فيه ألاّ أعمالا نقدية وتحليلية قليلة العدد ، كما أن معظم الدّراسات لم تتناول

[1] المصدر نفسه مقدمة الطبعة الأولى ، ص ص 7- 8.

[2] عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة .

مجموعة من القصص لكتاب جزائريين في وقت واحد لكي يسمح ذلك بإعطاء رأي عام أو إصدار حكم حول هذا الجنس الأدبي ...بالإضافة إلى تساؤلات أخرى حاول مرتاض تناولها في فصول كتابه .

إن عبد الملك مرتاض كان أكثر دقة وتركيز في اختياره لمدونته " القصة الجزائرية المعاصرة "، مع الاستعانة في تحليله بالمنهج الإحصائي ونظام الجدولة، ولعل هذا ما ساعده على الإلمام بالموضوع بطريقة علمية.

3 – المنهج السيميائي التفكيكي

تقلب مرتاض بين السيميائية والتفكيكية من خلال عدة كتب التي أصدرها في التسعينات من القرن الماضي ومن أبرزها:

1 – أ / ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل الخليفة.

2 – " شعرية القصيدة " قصيدة القراءة، تحليل مركب لأشجان يمنية.

بدأ مرتاض مرحلة جديدة من خلال تجاوزه البنيوية وما بعد البنيوية حيث يرى أن التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية، ويرى أن لا حرج بالنهوض بتجارب جديدة تمضي في هذا السبيل بعد التخمة التي مر بها النقد من جراء ابتلاعه لمذهب تلو الذهب[1].

وفي ضوء هذا التصور الشامل لرؤية المنهجية اصطنع منهجا مركبا يزاوج فيه بين السيميائية و التفكيكي[2].

وقد دشن هذا المنهج المركب بتحليل سيميائي تفكيكي في كتابه " **أ /ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل الخليفة**"، فهي دراسة أنجزها الباحث ليضع أمام الباحثين نموذجا إجرائيا حداثيا للممارسة النقدية على النصوص الأدبية ، وقد

[1] عبد الملك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،دط ، 1995، ص6.

[2] يوسف وغليسي الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، دط، 2002،ص45.

أتى البحث في فاتحة وتمهيد وفصول الستة حيث أنه قبل أن يشرع في تفكيك نص (أين ليلاي) للشاعر " **محمد العيد آل خليفة** "عبر الفصول ستة، استهلها بفصل حول بنية القصيدة لمحمد العيد آل خليفة، بحث فيه عن الخصائص البنيوية العامة لشعر محمد العيد (من خلال 120 نص كاملا)، على غرار القراءة التفكيكية التي تشرح النص في ضوء النموذج الذي ينتمي إليه حيث انتهى إلى أن هذه البنية شبيهة ببنية القصيدة العربية العمودية واستمرار لها من حيث طول نفسها و اصطناع الإيقاعات الفخمة الشهيرة واختيار القوافي المألوفة واصطياد الصور المعتادة واختيار اللفظ وانتقاء العبارة ....وأما الفصول المتبقية فليست في أغلب غاياتها إلا تفكيكا وتقويضا لهذه البنية التي تضمنها الفصل الأول بمنهج بنيوي و إجراءات سيميائية.[1]

وقد شرح أهمية المنهج الذي أعتمد عليه في دراسته للقصيد، من أجل الوصول إلى دلالاتها، إذ يعلق "**عبد الملك مرتاض**" عن قصيدة " أين ليلاي" بأنها البنية شعرية تقليدية عمودية من حيث الشكل، وأما من الناحية التقنية فإنها تلج الحداثة من بابها الرحب، ويحدد عبد الملك مرتاض في كتابه منهجه بقوله: " اضطررنا إلى تناول هذا النص وهو أين ليلاي ويقع في ثلاثة عشر وحدة من تفكيك المدلول ومن حيث البناء اللغوي ومن حيث الحيز الشعري ومن حيث الزمن الشعري ثم من حيث التركيب الإيقاعي وخصائصه

[1] عبد الملك مرتاض أ/ي دراسة سيميائيي تفكيكية: لقصيدة أين ليلاي لمحمد آل العيد الخليفة، الجزائر،ط1،1992، ص50.

عبر هذا النص فكان لامناص من تناول كل عنصر من هذه العناصر في فصل مستقل بذاته..."[1]

وفي هذه الدراسة النقدية اعتمد مرتاض على المنهجية التالية :

حيث تناول النص في عدة مستويات، درس فيه مستوى بنية اللغة ثم المستوى التفكيكي ومستوى الحيز ومستوى تعاون النص مع الزمن، ثم المستوي الإيقاعي سالك سبيل التشريع للنص (أين ليلاي) مراعاة له في شموليته وتناوله تناولا لا يسمح بانفصال الدال عن المدلول أو الشكل عن المضمون.

وفي ضوء هذا التصور الشامل لرؤيته المنهجية قصد" **عبد الملك مرتاض**" البحث في أصول المنهج المتبع السيميائي التفكيكي ، وفي هذا يقول الدكتور " **مولاي علي بوخاتم** " "ولنا في تتبع هذا التطور العام للمنهج المعتمد تفصيلات تدل على عمق ثقافة الباحث ولغته وإلمامه بعناصر الدرس السيميائي كما تدل على حضور ملامح النظريات الغربية حضورا مستمرا في ذهنه..."[2]

كما بين "**عبد الملك مرتاض**" في كتابه " **أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد الخليفة** " الإجراءات التطبيقية لمنهجه السيميائي التفكيكي، وبرأي الدكتور " **مولاي علي بوخاتم** " فإن هذا الكتاب يعد البداية الأولى وهو يشكل جزءا من

[1] المرجع نفسه، ص11.

[2] د. مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية،ط1،الجزائر،2005،ص50.

مشروع نقدي ضخم سارت من خلاله اللسانيات والسيميائيات في العلوم الإنسانية ونقلة نوعية في تأسيس الفعلي للاتجاه السيميائي والتفكيكي، والمطلع على هذه الدراسة ومنهجيتها يلاحظ التذبذب الذي لف عدته المنهجية رغم تنبيه ملامح السيميائية كعنوان الكتاب لا تختلف كثيرا عما إعتمده في كتابه " بنية الخطاب الشعري " فيما عـــدى تطويره لبعض الإجراءات والتعويل على الإفادة من التفكيكية[1].

ولعل ما يلفت الانتباه هو العنوان الذي لم يألفه التأليف العربي ويورد الباحث " **يوسف وغليسي**" تعليلا له وتأثر مرتاض به، وهو أن المرجع الأساسي الذي استمد منه العنوان ليس غير كتاب لـــ " رولان بارت الذي حمل عنونه عل حرفين حرف (s) الذي هو أول حرف من عنوان النص الذي يعالجه الكتاب وهو قصة (sarrasine) وحرف (z) الذي هو الآخر حرف من الحروف الأبجدية الفرنسية [2].

و يذهب مرتاض في حديث عن بنية القصيدة عند " محمد العيد " التي يراها بنية تقليدية خاصة من حيث الإيقاع إلى إحصاء الإيقاعات التي انتظمت شعر" محمد العيد " فيجد أكثرها حضورا هو الإيقاع المديد فاعلاتن فاعلاتن فاعلات ، إذ بلغت القصائد التي وردت على إيقاعه إحدى وعشرين (21) قصيدة ويليها الإيقاع الوافر مفاعلتن مفاعتن فعول، إذ تندرج في سلمه خمس عشر (15) قصيدة ويأتي بعده الطويل فعولن

[1] المرجع نفسه، ص 72.

[2] يوسف وغليسي الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، دط، 2002،ص69.

مفاعيلن فعولن مفاعلن بأربعة عشر (14) قصيدة، ويليه الإيقاع البسيط مستفعلن فاعلن مستفعل فاعلن بأثنى عشر (12) قصيدة، ثم الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن بتسع (9) قصائد .

وقد لاحظ مرتاض أن هذه الإيقاعات الخمسة تستبد وحدها بما لا يقل عن إحدى وسبعين (71) قصيدة وتتوزع القصائد التسع وأربعون الباقية (49) على إيقاعات مختلفة أقل شهرة وأدنى جمال ثم فعل مرتاض الأمر نفسه مع الروي والقافية [1].

وعند انتقالنا إلى الكشف عن ملامح السيميائية في هذه الممارسة مثلا ، تظهر إفادته من بعض عناصر البنيوية ، لاسيما بخصوص تناول شفرات النص والعلاقات التي تحكمها حيث درس الطرفين البنية اللغوية ومسألة الدال والمدلول في الفعل بوصفها مسألة من مسائل التي أثارها (دي سوسير) في مدرسة (جنيف)، وتبعا لهذا المعطى المنهجي – نفسه – في المستوى التحليلي عمد إلى الانطلاق من المضمون إلى الشكل ، ومن الشكل إلى المضمون مستمدا رؤيته هذه من أفكار المستشرق الفرنسي (أندريه مكائيل) .

وقد أكد مرتاض من إسفادته المبكرة من النقد الجديد وتياراته بقوله :" لولا طائفة من النقاد الثوريين الذين رفضوا أن يضل النقد على ما أقامه" **تين ولانسون، و بيف** "وأقبلو يبحثون في هذا النص بشرط علمي عجيب فأخذوا يقلبون أطواره على مقالب مختلفة ومن

[1] المرجع نفسه ص81.

هؤلاء الإجتماعيون و البنيويون و التفكيكيون و التشريحيون والسيميائيون وأثناء ذلك الأسلوبيون لكان أمر النقد و دراسة النص الأدبي بخاصة انتهى إلى باب مغلق لا ينفتح بأي مفتاح " وما يجب ذكره أيضا أن عبد الملك مرتاض استعمل الكثير من المفاهم السيميائية في كتاب مثل: (الأيقونة ، والقرينة ، والرمز ، والإشارة) .

ويمكن أن نجمل بعض المآخذ التي رصدناها من خلال كتابه فيما يلي:

- التكرار: قد يكون دافع مرتاض من وراء التكرار إلى ترسيخ بعض المعاني التي يراها مهمة .
- التداخل وعدم الوفاء بمقتضيات العناوين .
- الانفلات المنهجي في تحليله لقصيدة " أين ليلاي "، إذا ينساق إلى قصائد الديوان الأخرى في حديثه عن بنية القصيدة لدي محمد العيد الخليفة ، ليحصي عدد الإيقاعات التي إنتضمت أشعاره كلها ، وهو ما لا لزوم في رأينا لأن الدراسة منصبة عل قصيدة واحدة كان الأحرى بالمؤلف أن لا ينصرف عنها لغيرها لتجنب التداخل والتضارب المنهجي .
- التعميم في إصدار الأحكام فبذلك في قوله في تحليل القصيدة " أين ليلاي " وهذا النص لمحمد العيد آل الخليفة جئنا إليه عن قصد وإختيار بعد أن جلنا طويلا لقصائد ديوانه الأخر آثرناها بالتشريح و التوسيع بخصائص فنية لم نلاحظها في

غيرها ومنها اصطناع الرمز لأول مرة في الشعر العربي الحديث في الجزائر... "[1].

ومهما يكن فإن كتاب عبد الملك مرتاض يعد فتحا جديدا في مجال النقد العربي الحديث، في الجزائر بخاصة إذا قارناه بالعقم الوجود في الساحة النقدية .

فكما إهتم بدراسة النصوص العربية القديمة، نجده يهتم أيضا بالنصوص الأدبية المعاصرة، هذا بصفة عامة، وبالشعر الحديث بصفة خاصة. ومن بين أهم الدراسات التي قام بها – مرتاض – في هذا الميدان ،.في الرد على " عبد الحكيم راضي " دراسة كاملة عنوانها (**شعرية القصيدة ، قصيدة القراءة ، تحليل مركب لقصيد أشجان يمنية**) عن دار المنتخب العربي بيروت سنة 1994، والتي أعد فيها تحليل القصيدة بمنهج مغاير **لمنهج الدراسة الأولى**، وضمنها ردا عنيفا وساخرا على مقالة " **عبد الحكيم راضي** " الهجائية، بل ولم ير مانعا من احتمال تأليف كتاب ثالث حول النص نفسه أو أكثر.

حيث يرى – وغليسي – أن كتابه النقدي " **شعرية القصيدة ، قصيدة القراءة – تحليل مركب لقصيدة أشجان يمنية** " يشكل تأكيد ضمنيًا قاطعا لتمكن التصور " التفكيكي " في مستوى التعددية القرائية من القناعة المنهجية للناقد، ويأتي صنيعه هذا حدثا نقديا

[1] عبد الملك مرتاض أ/ي دراسة سيميائيي تفكيكية:لقصيدة أين ليلاي لمحمد آل العيد الخليفة،الجزائر،ط1، 1992، ص87.

متفردا في العالم بأسره، إذ لم نسمع – من قبل الناقد (قديم أو حديث ، عربي أو غربي) ألّف كتابين نقديين، بمنهجين مختلفين حول نص واحد [1].

لقد بالغ – يوسف وغليسي – في الثناء على مرتاض في صنيعه النقدي، والمتمثل في تأليف كتابين نقديين بمنهجين مختلفين حول نص واحد، و اعتبره حدثا نقديا متفردا في العالم بأسره، وهذا لأن – مرتاض – في حقيقة الأمر كان في موقف الدفاع عن نفسه أمام الحملة الشرسة من راضي وأمثاله المتنطعين.

ومن هذا المنطلق، راح يعيد قراءة قصيدة " **أشجان يمنية** " بمنهج مركب الأدوات، حيث عالجها من منظور سيميائي تفكيكي بعرضها على عدسة " تشاكل " (الذي هو من أبرز الفرعيات السيميائية التي نقلها جوليان غريماس من عالم الفيزياء والكيمياء إلى حقول الأدب والنقد)، ولم يكتف بذلك وقد حلل مرتاض ضروبا " إنزياحية "، تتقصى جماليات التعبيرية بوصفها أساليب منحرفة عن النمط الإستعمالي (المعياري)[2] .

فقد أشار إلى أنه قد اصطنع مجموعة من الألفاظ ، وطرح مجموعة من الأسئلة والقضايا التي يحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدّراسة.

---

[1] يوسف وغليسي الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، دط، 2002،ص30.

[2] ينظر:عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة – قصيدة قراءة (تحليل مركب لأشجان يمنية)، بيروت، ط1،1994، ص28.

وأشار إلى أن هذه الدراسة التحليلية التي قام بها ليست نقدا تقليديا، ولا نقدا جديدا خالصا، ولا إبداعا، وإنما تقع دراسته هذه بين كلّ ذلك.

وقوله هنا " **نقدا تقليديا** " أنه أراد هنا تجاوز ما قام به في دراسته الأولى لهذه القصيدة، ولذلك فقد أشار حتى في العنوان إلى أنه سيقوم بتحليل مركّب لهذه القصيدة حيث نجد أن كلا من النّاقد والمبدع يشكلان طرفين متكاملين، بخلاف ما كان يتميّز به النّقد التقليدي من إجحاف بين الإبداع والنّقد. فهذا العمل يتمثل في قراءة جديدة لنص قصيدة " أشجان يمنية " وهي قراءة سيميائية تمتد على خمس مستويات وهي :

المستوى الأول: قراءة تشاكلية انتقائية لنص " الأشجان يمانية "

المستوى لثاني: مقاربة تشاكلية تحت زاوية الإحتياز.

المستوى الثالث: معالجة إنزياحية لنص "أشجان يمانية " .

المستوى اللخامس : قراءة سيميائية مركّبة [1].

أما فيما يخص اللغة التحليلية التي استعملها " مرتاض " في كتابه "شعرية القصيدة قصيدة قراءة تحليل مركب لقصيدة لأشجان يمنية "، فرغم ابتداعه لكلمات كثيرة، ومفاهيم متعددة ، فقد كان واضحا ودقيقا فيما شرحه وفسره، رغم أنّ لغته تميزت في غالب الأحيان بدرجة من الشعرية التي لم نعهدها في الدّراسات النقدية الحديثة التي تتميز

[1] نفس المصدر، ص 85.

بعنصر العلمية والدّقة والوضوح، لأن هذا ما تفرضه عليه المناهج النقدية المعاصرة في قراءتها للأعمال الأدبية، حديثة كانت أم قديمة .

لكن تبقى هذه الدراسة التي قام بها " مرتاض " في قراءته السيميائية نص قصيدة " أشجان يمنية "، محاولة تبرز إمكانية قراءة النص الواحد بمناهج وإجراءات مختلفة، توصلنا في كل الأحوال إلى اكتشاف جديد يثبت إبداعية النص الأدبي و شعريته مهما كان الزمن الذي أنتج فيه، هذا ما نعرفه بـــ : تعدد القراءات، و انفتاح النص الأدبي، وهذا ما يميز "عبد الملك مرتاض" في هذه الدراسة التي تمثل قفزة نوعية ومحاولة صائبة.

وأخيرا فإن تجربة عبد الملك مرتاض في مناهج الحداثية وخاصة المنهج السيميائي التفكيكي تجربة غنية وثرية سواء من حيث المنهج الذي اتبعه أو المصادر التي أخذ منها فـــــ"عبد الملك مرتاض من أبرز النقاد حرصا وأشدهم على مواكبة ما يروج في الساحة النقدية من مناهج معاصرة، بكثير من النظريات النقدية الحداثية وإجراءات مختلفة و متباينة المرجعية حاول من خلالها تناول النصوص الإبداعية المختلفة الجنس والمرجعية قديمة وحديثة، شعرية وسردية وتلك خاصية رافقته منذ أن طرق مجال النقد [1]

[1] يوسف وغليسي الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، دط، 2002،ص91.

الخاتمة

خاتمة

لقد كانت إذن هذه أهم القضايا التي توصل إليها بحثنا من خلال دراسة موضوع هام على صعيد النقد العربي عامة والجزائري خاصة، والمتعلق بتطور التجربة النقدية لأحد أبرز أعلامه الذين استطاعوا أن ينحتوا أسماءهم بأظافرهم، فلقد ذكرنا بعض نتائج البحث في ثنايا الرسالة تصريحا، وأشرنا إلى بعضها الآخر تلميحا، كما تركنا بعضها الآخر إلى حذاقة القارئ يستشفها بنفسه، إلا ذلك لا يمنعنا من أن نعيد إجمالها في النقاط التالية:

– إن " عبد الملك مرتاض " قد تأثر بالدراسات النقدية الغربية، وبمختلف تطوّراتها، فعمد إلى استغلال مناهج حدثية واستخدمها في تحليل ودراسة النصوص الأدبية، فتراوحت بين دراسة النصوص الأدبية القديمة (التراثية) والحديثة، وبين الشعر بقديمه وحديثه، وبين الأنواع النثرية المتعدّدة.

– الدكتور عبد الملك مرتاض من أكثر النقاد العرب اهتماما بالمنهج، ولهذا نراه في معظم كتبه النقدية يبدأ بطرح الإشكاليات المنهجية " إذ لا يكاد يخلو كتاب من كتبه النقدية الغزيرة بمقدمة شافية تستوفي الإشكالية المنهجية حقها من البسط و الدرس".

– إن "عبد الملك مرتاض " يُلبس لكل زمان نقدي لُبُوسه المنهجي، فهو متطوّر ومتجدّد باستمرار، ما يلبث على حال منهجيّة حتى ينتقل إلى أخرى.

– يرى مرتاض أن المناهج النقدية العربية وليدة عهدها بحيث تقوم على الشرح والتصنيف لا على الدراسة والتحليل، لذا تقف جامدة أمام تطور العلوم والآداب. إنها

تركز لاهتمامها أكثر عل المؤلف والبيئة والظّروف التي في سياقها كُتب من خلال هذه الدّراسات.

– أن عبد الملك مرتاض لم يهتم فقط بدراسة النص الشعري العربي القديم، بل تناول النص اللاشعري العربي المعاصر، وبطريقة منهجية، ويظهر ذلك في تطوّر كتاباته ومسايرتها للتطور الذي يحدث مع الحركة النقدية العالمية بصفة عامة، والعربية بصفة خاصة، في هذا نعدّ "عبد الملك مرتاض" من أكثر النّقاد توزعا بين المناهج المتباينة الطّرح، انطلاقا من المناهج السّياقيّة مرورا بالمناهج النّسقيّة منتهيا إلى التركيب المنهجي المفتوح والمنتشر، الّذي دعا إليه بإلحاح في أكثر من مقام.

– لقد بدا عبد الملك مرتاض تعامله مع الحداثة في بداية الثمانينات منحازا لها، مولعا بالكثير من أفكارها على حساب التراث،...ثم ما لبث أن أصبح يقف موقفا معتدلا، وسطا بينهما فهو لا يتنكر للتراث، كما لا يتنكر للحداثة.

– إن تجربة عبد الملك مرتاض تجربة غنية وخصبة تحتاج إلى دراسات أكثر، لما له من فضل السبق على النقاد المغاربة – وحتى العرب – في استيعاب وإدخال المناهج الحداثية برؤية علمية واضحة تستند على التراث وتتكئ على الجديد دائما.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

كتب عربية

1- أحمد الخطيب: حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، دت، ج1.

2- أحمد رحماني: نظريات نقدية وتطبيقها، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1.

3-السعيد بوطاجين: الترجمة و المصطلح (دراسة في إشكالية المصطلح الجديد)، الدار العربية ناشرون، منشورات الإختلاف، لبنان، الجزائر، ط1، 2009.

4- بـــــوخـــــاتم مولاي علي، الدرس السيميائي المغاربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2005.

5-نبيل داود وفيصل الأحمر، الموسوعة الأدبية، دار المعرقة ، الجزائر، ج1، 2008.

6- خلدون: مقدمة إبن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

7- سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط، دت.

8- محمد مندور: في الميزان الجديد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1944.

9- محمد مندور : في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

10- مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي (الإشكالية والأصول والامتداد)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005.

11- وليد قصاب : مناهج النقد الأدبي الحديث، ، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2002.

12- عبد المجيد حنون : اللانسونية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

13- عز الدين الخطابي، أسئلة الحداثة ورهناتها والسياسة والتربية، منشورات الإختلاف (الجزائر).

14- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983.

15- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

16- عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة – تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

17- عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1991.

18- عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001.

19- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

20- عبد الحكيم راضي: عرض لكتاب بنية الخطاب الشعري لعبد الملك مرتاض، مجلة الفصول م8 ع1، 2 ، سنة 1989.

21- يوسف وغليسي: الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض- بحث في المنهج وإشكاليته- المكتبة الوطنية الجزائرية، إصدارات رابطة ابداع الثقافية، الجزائر، 2002.

22- يوسف وغليسي،: مناهج النّقد الأدبي، جسور للنشـــر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007 .

23- يوسف وغليسي : النقد الجزائري من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002.

24- يوسف وغليسي: الخطاب النّقدي عند الملك مرتاض، بحث في المنهج وإشكاليته، المكتبة الوطنية الجزائرية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، 2002.

فهرس المحتويات

مقدمة.....(أ)

الفصل الأول: السيرة الذاتية والعلمية

- حياته.....(6)
- عوامل تكوينه.....(11)
- جهوده.....(18)
- عبد الملك مرتاض و التنظير للنقد العربي.....(27)

الفصل الثاني: المناهج التقليدية عند عبد الملك مرتاض .

- المنهج الإنطباعي.....(34)
- المنهج التاريخي.....(43)

الفصل الثالث: التركيب المنهجي في النقد عند عبد الملك مرتاض.

- مرتاض والحداثة.....(55)
- المنهج البنيوي الأسلوبي.....(61)
- المنهج السيميائي التفكيكي.....(74)

الخاتمة..... (85)

ملخـــــص

يعد الناقد الجزائري **عبد الملك مرتاض** احد رواد النقد العربي المعاصـــر، والمتتبع لمساره النقدي بالدراسة نخلص إلى أنه مشوار حافل وثري، ومما لاشك فيه أنه يتميز بعدة خصائص.

حيث أشرنا إليها في الفصل الأول، وقد بدأنا بتقديم ترجمة حياة الناقد من مواد ونشأة وظروف تعمله وأسفاره وأهم مؤلفاته، والعوامل المؤثرة في تكوين ثقافته والتي تتميز باتجاهين، فهو لم يفرط في التراث العربي النقدي محافظا على أصالته وراح يخضع بعض النصوص لمفاهيم النقد المعاصر محاولا وضع أسس مذهب نقدي عربي حديث وفقا لمنظور النقد المعاصر. وتكلمنا عن أهم القضايا والآراء النقدية له والتي رأينا أنها أثارت جدلا في بعض الأحيان، ومن أبرز ما ذكرنا أنه في العلاقة بين الكتابة والنص الأدبي مبديا مفهومه للكتابة وماهية النص الأدبي، وانتقنا إلى إظهار موقفه ورأية في النقد والناقد,ثم تناولنا مسألة أخرى لا تقل أهمية عن غيرها إنها قضية الحداثة وموقفها منها,ومسألة السيميائية.

أما في الفصل الثاني وهو ناقد لم يعرف بثبات المنهج فقد بدأ مسيرته النقدية ناقدا انطباعيا ثم تاريخيا وبعدها مال إلى توظيف المناهج الحديثة كما عرف بتنوع المنهج حتى في العمل الواحد.

أما في الفصل الثالث فقد أشرنا بأنه استفاد من ثقافة عصره مطلعا على المنهج النقدية الحديثة خاصة التي عرف بها النقد الأجنبي، وخير دليل على ذلك تأثره بالمصطلحات التي جاء بها فقد كان يستعملها بكثرة بعد ترجمت.

ووصلنا إلى الجانب التطبيقي بتقديم قراءات في بعض مؤلفاته وتناولنا كتاب **القصة في الأدب العربي القديم** وهو يعد من الكتب النقدية الأولى في مساره وأبدينا بعض الملاحظات حول الجانب الشكلي والمضمون وكشفنا بعض الهفوات التي طبعت هذا الكتاب أضف إلى ذلك ما يحسب للمؤلف في هذا المجال.

أما كتاب **(بنية الخطاب الشعري)** وكتاب **(دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي؟)** فقد جعلناها مثالا عن الاتجاه الحداثي للناقد، ورأينا أنه تخلص بعض ما تميز به في بداياته بيد أنه لم يثبت على منهج واحد وهو الذي يقول:"المنهج هو اللامنهج "ويطبقها في بعض أعماله، كما أنه يصدر أحكاما بلا دليل أو يميل إلى التعميم من خلال دراسة قصيدة واحدة **(أشجان يمانية)** ومنها اصدر حكما وهو ما يتنافى مع الدراسات المنهجية الحديثة.

Le Rèsumè

Le critique Abdelmalek Mortadhe est l'un des critiques arabe contemporaine et celui qui suit sa critique l'etude, on conclu que son parcours est riche,et sans Aucun doute il est caractèrisè d e plusieurs propriètès.

Ainsi que nous avons mentionner dans le premier chapitre ,nous avons commencer de prè sente par la traduction e la vie du critiqueur depuis sa naissnce et sa vie culturelle et leurs œuvres.les facteurs impactès sur sa frmation culturelle qui est caractèriser en deux sens,il nègligè pas le patrimoine arabe critique contemporaine,gardè son origine et commence de subie des cmprèhensions critiques contemporaine en essayant d'implique des bases d'enseignement critique arabe moderne comme une perspective critique moderne.

Ce qui concerne nous avons parlè sur leur plus importants questions et opinions critiques qui nous somme constatè qu'elles imposes un dispute dans certains moments,parmi les plus importantes de ce que nous Considèrons la relation entre l'ècriture et le texte littèraire,en exprimant sa Comprèhension la nature de l'ècriture et le texte littèraire,nous avons passè de Prèsenter son attitude et son opinion à la critique et critique§et puis nous avons Tenus a une autre sujet non moins importante que les autres ,c'estla gestion la modernitè et son aptitude devant la sémiologie.

Ce qui concerne le deuxième chapitre nous avons parlè su critique qui ne connu pas la stabilitè de l'aapproche,il acommencè sa Carrière critique comme critisue impressionniste après historisme,et ilavait Inclinè à fonctionner les approches modernes comme il est connu par la diversitè de l'approch même dans le seul œuvre.

Ce qui concerne le troisième chapitre ,nous avons mentinner qu'il avait bènèficiè durant sa vie culturelle conçue sur les approches critiques modernes surtout elle qu'il avait sur la quelle il identifier le critique ètrangère.la meilleur èpreuve est l'influencèe des terminologies citer par lui ètaient utilises beaucoup après sa traditione.

Nous avons arrivè a'aspect e la pratique,de prèsenter des lectures dans ses ouvres et nous avons tenus le livre de rècit dans la littèrature arabe ancienne.il Concevoir comme des livres critiques et nous avons montrer quelques observations sur l'aspect de forme et de contenue et nous avons dècouvrir quelques fautes qui sur ce livre en ajoutent à tout ca ce qui compte à L'écrivain dans ce domaine.

Ce qui concerne le livrs(Structure du discours poètique) et le livre (Etude de dèconstruction de la sèmiotique sur la poèsie de ibn laila) et nous avons vue qu'il a èliminer certains ce qu'il caractèrise dans ses premiers carrières,mais il ne stabilise pas sur un seul approche c'est celui qui dise (l'approche c'est Extracurriculaire) et il les pratiques dans ses œuvres ainsi qu'il exporte des Concisions sans èpreuve ou incline à la gènèralitè d'après l'étude d'une seule Poésie (Achdjane Yammania) et parmi eux il export une concision,Ce qui est Incompatible avec les études systèmatiques modernes.